اليمن
في الدوريات العراقية



الجمهورية اليمنية / عدن

هاتف (٣٩٧٧٧٦/ ٢/ ٠٠٩٦٧) فاكس (٣٩٧٧٧٥/ ٢/ ٠٠٩٦٧)

Email: drwfaq@gmail.com

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الايداع في المكتبة الوطنية/ عدن

٧٥٨/٢٠١٠

اليمن
في الدوريات العراقية
1926 - 1966م

جمع وإعداد

الأستاذ الدكتور:

طارق نافع الحمداني
جامعة بغداد/ كلية التربية

مي فاضل مجيد الربيعي
ماجستير/ تاريخ حديث

مقدمة الكتاب

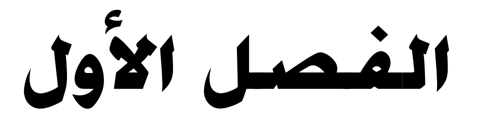
يحتاج الباحثون في دراسة تاريخنا العربي عامة، والقطر اليمني بخاصة، إلى رصد كل روافد المعلومات لدراسة هذا التاريخ، وتشكل الدوريات العراقية - منذ بداية القرن العشرين وما تلا ذلك - واحدة من تلك الروافد؛ ذلك لأنها أولت - كما أولت مصادر الثقافة العراقية الأخرى - تاريخ اليمن بالعناية والاهتمام، وشملت هذه العناية - كما سنلاحظها في البحوث والدراسات التي نشرتها الدوريات العراقية - كل جوانب تاريخ اليمن بمراحله الزمنية المختلفة.

لم يكن ذلك غريبًا، فالعراق كان أحد الأقطار العربية التي أسهمت في بناء القطر اليمني الشقيق، سواء في تحديث جيشه، أو بناء اقتصاده (من خلال البعثات الزراعية، والبعثات الكمركية).

وإذ نقوم بهذا العمل، إنما نوجه أنظار الباحثين - العرب بخاصة - إلى أهمية الدراسات والبحوث التي كتبت باللغة العربية منذ عشرينيات القرن العشرين، سواء في العراق أو مصر أو بلاد الشام، تلك الدراسات التي أغفلت كثيرًا، في حين وجهت الأنظار إلى البحوث والدراسات الأجنبية في المدة نفسها.

على أن عملنا هذا، هو ليس إلا لبنة أولى من لبنات الثقافة والفكر العربي، في روافده المختلفة، التي نأمل أن تتبعها أعمال أخرى في طريق الكشف عن مواردنا العلمية، وإيصالها للباحثين خدمة لتاريخنا العربي بعامة، واليمن بخاصة، والله من وراء القصد.

الأستاذ الدكتور
طارق نافع الحمداني



مكانة اليمن في الوطن العربي

الحدود السياسية بين أقطار الوطن العربي ... حدود مصطنعة[1]

لقد حبت الطبيعة إقليم الوطن العربي بشقيه (الشرق العربي والمغرب العربي) موقعًا جغرافيًا فذًا، فهو الذي يربط بين قارات ثلاث أوربا وآسيا وأفريقيا، ويمتد من الخليج العربي شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا، ومن البحر المتوسط شمالاً إلى المحيط الهندي والمنطقة الاستوائية بأفريقيا جنوبًا، ومعنى هذا أنه يقع ما بين خطي عرض **٣٧** و**٤** شمال خط الاستواء، وما بين خطي طول **١٠** غربًا و**٦٠** شرقًا. ومما يزيد هذا الموقع خطورة هو وقوعه على ساحل البحر المتوسط، كما تتقابل فيه الخطوط الجوية والبحرية والبرية، وإلى سواحل هذا البحر تنتهي أنابيب البترول العراقية، والسعودية، وشمالي أفريقيا (المغرب العربي)، هذا بالإضافة إلى وجود قناة السويس البوابة الوحيدة التي تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر، وبالتالي ربط المحيط الأطلسي بالهندي، وأخيرًا العالم الغربي بالشرق الأقصى تلك العالمين الذين يكمل كل منهما الآخر.

لقد خلق هذا الموقع الجغرافي قواعد إستراتيجية عالمية يتنافس عليها المعسكر الشرقي والغربي. وقد دلت الحربان العالميتان الأولى والثانية ما لهذه المنطقة من أهمية حربية امتازت بها على سائر الميادين الأخرى، فإذا ما استعرضنا التاريخ فسنرى أن هذا الإقليم له أهميته ومركزه الاستراتيجي الملحوظ منذ العهود القديمة، فقد كان ميدانًا لجيوش الفرس والإغريق ومن بعدهم الرومان والبيزنطيين، ومن ثم العرب في العصر الوسيط وقد سجلوا

---

(١) الدكتور نوري خليل البرازي، مجلة الأقلام، الجزء الأول، السنة الأولى، أيلول ١٩٦٤م، ص٧٦، ٩٢.

في ساحة هذا الإقليم انتصاراتهم على دولتي الفرس والبيزنطيين، ومن ثم أعقبت ذلك حملات الصليبيين التي بدأت في أواخر القرن الحادي عشر حتى جاء المستعمر الأوربي الإنكليز والفرنسيون أثناء الحرب العالمية الأولى، ولا يزال العالم العربي يعاني من هذا الاستعمار الويلات التي آلت به إلى التخلف في مختلف ميادين الحياة وحقولها.

إنّ لهذا الإقليم وحدة جغرافية وأخرى بشرية، وذلك بدليل اشتراك المنطقة في مقومات أساسية هي الموقع الجغرافي، وتشابه مظاهر البيئة الطبيعية، وكذلك التكوين العنصري، والمظهر الحضاري، والتاريخ الواحد ووحدة الهدف.

ففي حالة تضاريس المنطقة نجد أن ما فيها من مظاهر طوبوغرافية لا تعتبر حواجز تمنع الاتصال أو تعرقل الانتقال بين أجزاء الوطن العربي، فالجبال الموجودة في جهاته تخترقها المنافذ والممرات التي تسمح بعبور المواصلات من جزء لآخر، ففي شمال النطاق الأفريقي يمكن الانتقال من السواحل المصرية برًا وبحرًا حتى الجزائر ومراكش غربًا؛ لأن امتداد الجبال هنا عرضي وتتخللها الأودية التي تسمح بالانتقال، والدليل على ذلك هو انتقال العرب الفاتحين في صدر الإسلام بسهولة عبر هذه الأقاليم نحو الغرب ونحو الجنوب.

وفي حوض النيل انتشر العرب من الشمال إلى الجنوب وعلى طول امتداد وادي النيل حتى جنوب السودان، وانتشرت الثقافة العربية والدين الإسلامي، وكذلك عبر العرب البحر الأحمر من شواطئه الشرقية إلى شواطئه الغربية، وانتقل العرب من قلب شبه الجزيرة العربية في الاتجاه

الشمالي والشمال الشرقي بسهولة، ولم يقف في طريقهم من الحواجز ما يعرقل حركتهم حتى وصلوا إلى بلاد الشام وسواحل البحر المتوسط وإلى سهول بلاد الرافدين، وكذلك اجتازوا صحراء سيناء متجهين غربًا، حتى أصبحت في نهاية المطاف هذه المناطق الآسيوية والأفريقية وطنًا عربيًا.

إن التنوع في مظاهر السطح لا يعتبر حاجزًا يعزل بين أجزاء هذا الإقليم، بل يعتبر ميزة؛ لأنه يعطي المنطقة صفة التنوع في الإنتاج، وهذا ما يساعد على التكامل الاقتصادي لهذه البيئات المختلفة في مظاهر السطح والمناخ والنبات، إلى جانب هذه العوامل المختلفة هناك تشابه في البيئات، فسهل دجلة والفرات يشبه السهل الزراعي في حوض النيل، كذلك المنطقة الساحلية في سوريا ولبنان تناظر البيئة الساحلية في عمان وحضرموت وسواحل المغرب العربي بأفريقية، وقد نتج عن هذا التماثل في البيئات مظاهر حضارية ونشاطات اقتصادية متشابهة.

وخير دليل على ذلك ظهور الفينيقيين واتصالهم بالبيئات المجاورة بسبب بيئتهم البحرية، وهذا ينطبق على الحضارمة والعمانيين في المحيط الهندي واتصالهم بشواطئ أفريقية وجزر الهند الشرقية، وقد قاموا بنشر الحضارة الإسلامية في هذه الربوع الأفريقية والآسيوية، وهناك الحياة البدوية في البوادي الأفريقية والعربية التي تعطينا خير دليل على انعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية والحضارية المتشابهة.

أما إذا ما تتبعنا النشاط البشري في هذه المنطقة منذ العصور القديمة فإننا نجد في فجر التاريخ وطوال التاريخ القديم أن المنطقة المعروفة في العالم كانت هي الإقليم المعروف الآن بالعالم العربي.

لقد كانت هذه المنطقة هي مركز النشاط البشري وموطن أقدم الحضارات وأرقاها، كما كانت الوسيط التجاري الرئيس في العالم القديم.

كلنا يعرف تاريخيًا أن الفينيقيين أول من ركب البحر المتوسط، وتجولوا فيه غربًا حتى جبل طارق، وكذلك الحضارمة سكان جنوب الجزيرة العربية هم الجماعة الأخرى التي ارتادت المحيط الهندي نحو الشرق الأقصى ونحو ساحل أفريقية الشرقي وتبادلوا مع سكان تلك الأصقاع التجارة.

إن نشاط العرب يمتد إلى أبعد من هذا، فقد امتزجت حضارتهم بحضارة الإغريق والرومان والفرس بسبب موقع بلادهم الجغرافي.

استمرت قوة العرب تنمو ونجمها يظهر حتى بدا واضحًا بظهور الإسلام، ففي ظله انتشر العرب من شبه الجزيرة العربية غربًا حتى الأندلس وشرقًا حتى الصين، حاملين معهم مظاهر حضارتهم التي نمت وازدهرت طوال الحكم الأموي والعباسي.

وكان ظهور الإسلام عاملاً حاسمًا في توحيد أجزاء الوطن العربي وربطها برباط واحد، ففيه انبثقت الثقافة العربية الإسلامية في جميع ربوعه حتى انطبعت بطابع ثقافي متشابه، وتقاليد اجتماعية واحدة، وأصبح العالم العربي وسطًا جغرافيًا بالنسبة للعالم الإسلامي، كما أصبح هو نفسه عالمًا عربيًا موحدًا.

ظل الوطن العربي بعد سقوط الدولة العباسية تحت مد وجزر الأوضاع السياسية حتى ظهرت بوادر الاستعمار الأوربي، حيث كانت فرنسا سباقة إليه، إذ بدأت بالاستعمار الاستيطاني في الجزائر عام (١٨٣٠م)، واحتلت

إنكلترا عدن في عام (١٨٣٩م)، وبدأ الإنكليز بالسيطرة على الخليج العربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، أما في عام ١٨٨٢م فقد احتلت بريطانيا مصر، ومنذ ذلك الوقت أخذ النفوذ الأجنبي يتزايد توغلاً في الوطن العربي حتى حدثت الحرب العالمية الأولى، وهنا كانت نهاية الوطن العربي، حيث تمزق بين إنكلترا وفرنسا؛ لخوفهما من اتحاده وتكوين دولة واحدة وبذلك يكون خطرًا على مصالحهما.

إن الأمة العربية - التي كانت قبل تمزيقها وحدة مترابطة لا تفصلها حدود مصطنعة - أصبحت اليوم - بعد دخول المستعمرين - مفككة مبعثرة بسبب هذه الحدود المصطنعة التي لا تستند إلى حواجز طبيعية أو بشرية.

لقد كان هدف المستعمرين من إقامة هذه الحدود هو خلق شخصية إقليمية لكل وحدة سياسية، وذلك لإحداث التفرقة بين هذه الأقاليم العربية، وقد نجحت هذه السياسة، ولا تزال نتائجها تجثم على صدر الأمة العربية في كثير من بقاعها.

إن الأسباب التي دفعت الأوربيين إلى تطبيق هذه السياسة هو تحقيق مبدأ (فرق تسد) تلك السياسة التقليدية التي تهدف منها هذه الدول المحافظة على مصالحها في المنطقة، التي يأتي في مقدمتها الحصول على الموارد الطبيعية، التي يأتي في مقدمتها زيت البترول الذي يمثل عصب الحرب، وشحم السلم، وكذلك تعتبر المنطقة الإستراتيجية والمحطة الرئيسية للمواصلات البحرية والبرية والجوية، كما وإنها تتحكم في مداخل البحار، وتشرف عليها بموانئها التجارية والعسكرية، خاصة وإنها تقع بين أكبر قوتين عالميتين هما المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي.

في ضوء هذا العرض نحاول أن نستعرض تاريخ الدولة العربية، والمراحل التي مرت بها من استعمار أنهك قواها، ومن سياسة مستقلة ناضل من أجلها، لا تزال هذه الدول تنفض عنها غبار التخلف، وتصفية التركة التي خلفتها العصور العجاف.



الجنوب العربي

عدن:

تقع عدن على الساحل الجنوبي من شبه الجزيرة العربية على مساحة مائة ميل شرق مضيق باب المندب.

وتبلغ مساحة عدن **٧٥** ميلاً مربعًا، وحتى عام **١٩٥٩**م كانت جزيرة (بريم وجزر كوريا موريا) تعتبر جزءًا من مستعمرة عدن، ثم تقرر بعد ذلك فصلهما عن عدن، وإلحاق إدارتهما مباشرة بحاكم عدن، أما جزيرة (كمران) فيتولى إدارتهما حاكم عدن رغم أنها لا تعتبر جزءًا من عدن، أو من محميات عدن.

ويبلغ سكان عدن **٢٢٠,٠٠٠** نسمة، ويكون العرب غالبية السكان وبنسبة **٧٥,٢**٪، ولقد بدأ الاحتلال البريطاني لعدن في عام **١٨٣٩**م، مما اضطر سلطان لحج إلى الإقامة خارج عدن التي كانت عاصمة بلاده في ذلك الوقت.

وفي عام **١٨٣٩**م أعلنت بريطانيا ضم مستعمرة عدن إلى الهند البريطانية، بحيث تدار بواسطة حاكم الهند، واستمر هذا الوضع قائمًا حتى عام **١٩٣٧**م، ومنذ عام **١٩٣٧**م انفصلت عدن عن مستعمرة الهند البريطانية، واعتبرت مستعمرة منفصلة تابعة مباشرة للتاج البريطاني، وإلى جانب استعمار عدن نفسها بسطت بريطانيا حمايتها قبل وبعد الحرب العالمية الأولى على عدد من المشيخات والمحميات والإمارات المحيطة بعدن التي سميت بمحميات عدن، وقد بلغ عددها حوالي **٢٤** وحدة سياسية، ولقد أبرمت بريطانيا عددًا

كبيرًا من اتفاقيات الحماية مع مشايخ هذه الأقاليم، وبمقتضى هذه الاتفاقيات احتفظت بريطانيا لنفسها بالحق في إدارة العلاقات الخارجية لهذه الأقاليم، وتعهد المشايخ بعدم الاتصال بغير بريطانيا وبعدم منح الدول الأخرى أية امتيازات وحقوق، كما أصبح من حق بريطانيا أن تعين مستشارًا في كل إقليم من هذه الأقاليم.

ولقد عارضت اليمن في شرعية وضع بريطانيا في هذه المناطق، على أساس إنها أجزاء من إقليم اليمن، وقام نزاع مسلح بينهما، وانتهى الأمر بإبرام معاهدة في **١٩٣٤**م بين بريطانيا وإمام اليمن بقصد المحافظة على الأمر الواقع.

ومنذ عام **١٩٥٤**م بدأت بريطانيا تبذل محاولات شاقة بقصد تجميع عدد من هذه المحميات في نطاق إتحاد فيدرالي، وفي **١١** شباط **١٩٥٩**م تكون اتحاد الجنوب العربي.

إنّ لهذه السياسة أكبر الأثر في تفتيت قوى الأمة العربية وتفككها، فبعد تحرر البلدان من ربقة الاستعمار كانت النوازع الإقليمية التي تسيطر على حكام الدول تدفعهم لكي يسلكوا سياسة إقليمية بعيدة عن ركب الدول العربية الأخرى.

لذا فالحل الأمثل جمع شتات الأمة العربية، وللقضاء على هذه الحدود المصطنعة هي الوحدة، ولأسباب اقتصادية وسياسية وقومية فإن الوحدة آتية لابد منها، فالوحدة حقيقة علمية، تؤيدها وحدة اللغة، ووحدة العنصر، ووحدة الثقافة، ووحدة العقيدة، ووحدة التاريخ، ووحدة المصالح

الاقتصادية المشتركة، ووحدة المصير.

ولقد ظهرت في هذه المنطقة أقدم وأعظم حضارتين في العالم القديم وهما الحضارة المصرية القديمة على ضفاف النيل، وحضارة بابل وآشور على ضفاف الرافدين، والتقت هاتان الحضارتان في بلاد الشام، وأثرتا في تاريخ البشرية كلها حتى اليوم، وكانت هذه المنطقة بوتقة انصهرت فيها كل الهجرات والسلالات التي جاءت إليها، سواء من الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب، وكانت لديها القدرة دائمًا على المزج بين الأجناس وامتصاص العناصر الغريبة، وكانت هذه المنطقة منذ أقدم العصور معبرًا للتجارة بين الشرق والغرب تلتقي فيها الطرق وتفترق.

والصلات التجارية المتبادلة بين سكان هذه المنطقة ترجع إلى أزمان موغلة القدم. فنحن نذكر على سبيل المثال تلك الصلات القديمة بين دلتا النيل وبلاد الشام، وبين الدلتا والبلاد الليبية، وبين صعيد مصر والسودان واليمن.

وفي هذه المنطقة ظهر التوحيد الخالص لأول مرة في تاريخ البشرية على يد سيدنا إبراهيم الخليل، ونزلت رسالات السماء على موسى وعيسى ومحمد، وعرف الناس التوراة والإنجيل والقرآن.

فمنذ أقدم العصور وسكان الوطن العربي تربطهم صلات وثيقة، وفي فترات كثيرة وطويلة من التاريخ القديم كان أهل وادي دجلة والفرات والشام ووادي النيل تجمعهم دولة واحدة.

ويرجع تاريخ الوحدة الأولى بين سكان هذه المنطقة إلى نحو **٣٥٠٠**

سنة، حينما قامت دولة كبرى في الشرق عاصمتها (**طيبة**) في صعيد مصر، وذلك في الفترة ما بين سنة **١٥٠٠** وسنة **١٢٥٠** قبل الميلاد، أي إنها استمرت قرنين ونصف القرن من الزمان.

وأما الوحدة الثانية فقد تمت في ظل دولة بابل، ثم دولة آشور في وادي دجلة والفرات، في الفترة ما بين سنة **٦٦٨** و**٥٣٩** قبل الميلاد، أي إنها استمرت زهاء مائة وثلاثين عامًا.

وأما الوحدة الثالثة فقد قامت بعد ظهور الإسلام، وكانت تتمثل في الدولة العربية الكبرى في العصر الأموي والعباسي، وكانت عاصمتها دمشق، ثم بغداد، ثم القاهرة، وقد استمرت هذه الدولة ثلاثة قرون في الفترة ما بين سنة **٦٨١** وسنة **٩٧٣** ميلادية.

وكانت تلك الدولة تمتد من المحيط الأطلسي غربًا وإلى الخليج العربي شرقًا، وشملت كل أجزاء الوطن العربي تقريبًا، وقد ظهرت وحدة الأمة العربية في أروع صورة خلال الحروب الصليبية التي استمرت حملاتها المتكررة **١٦٢** عامًا في الفترة ما بين سنة **١١٠٦**م وسنة **١١٦٨**م؛ فوقفت الأمة العربية صفًا واحدًا تحت قيادة صلاح الدين الأيوبي في وجه الغزاة من الفرنجة الذين جاءوا إلى بلاد الشرق بقيادة بعض الملوك والأمراء الإنكليز والفرنسيين؛ بحجة تخليص الأماكن المقدسة في بيت المقدس وتحريرها من أيدي المسلمين، وتأمين الحجاج المسيحيين، في حين أن هؤلاء الغزاة كانوا يضمرون أغراضًا أخرى استعمارية، وقد استطاعت الأمة العربية آخر الأمر أن تطرد هؤلاء الغزاة، وخرجت ظافرة في تلك الحروب بفضل وحدتها وتماسكها.

إن هذه الحواجز السياسية المصطنعة التي تفصل بين الأقطار العربية، لا تستند إلى عوامل جغرافية طبيعية أو بشرية، فالحدود السياسية الحالية بين البلاد العربية تعتمد في معظمها على خطوط وهمية فرضها المستعمر، وإنما قامت هذه الحواجز المصطنعة بين الأقطار العربية بفعل الاستعمار والتدخل الأجنبي في شؤون الوطن العربي.

فقد حدث هذا التمزيق للوطن العربي؛ كنتيجة للغزو الأجنبي، مثل إغارة التتار على وادي الرافدين، وتدمير بغداد، وإسقاط الدولة العباسية، وحينما فرض الاستعمار الأوربي (البرتغالي، والإسباني، والفرنسي، والإنكليزي، والإيطالي) سلطانه على أجزاء مختلفة من الوطن العربي خلال القرون الستة الأخيرة التي تبدأ من القرن الخامس عشر إلى القرن العشرين، وحينما انتقلت الخلافة الإسلامية من بغداد إلى إستانبول في القرن السادس عشر، وقامت الدولة العثمانية - التي ضمت جميع الأقطار العربية - بفرض اللغة التركية، كلغة رسمية في بعض تلك الأقطار، ومنها الشام ومصر، وتقسيم المجتمع العربي إلى طبقات متطاحنة، مثل طبقة الحكام الأتراك، وطبقة الباشوات والبيكوات الذين منحهم السلطان الإقطاعيات الواسعة؛ ضمانًا لولائهم، ثم طبقة الفلاحين والصناع الأجراء المعدمين الذين كانوا أشبه بالعبيد.

ومن الناحية القانونية كانت كل الأرض الزراعية في جميع الأقطار العربية ملكًا للسلطان العثماني، وكان للأهالي حق استغلالها فقط، وظلت هذه الحال قرونًا، ولم تقرر الملكية الزراعية إلا في وقت متأخر. وكان العسف بالأهالي والظلم في فرض الضرائب وجبايتها وأعمال السخرة،

وضرب الناس بالسياط - كان كل ذلك من الوسائل التي اتبعتها السياسة التركية، والحكام الأتراك الذين نصبوا ولاة من قبل السلطان على تلك الأقطار العربية الخاضعة للدولة العثمانية ولإضعاف القومية العربية، بل للقضاء عليها نهائيًا، وتذويبها في القومية التركية - ولكنها لم تنجح فيما كانت تصبو إليه؛ لأن القومية العربية كانت أقوى من كل هذه الأساليب الخارجية الطارئة المفتعلة؛ ولأن عناصر هذه القومية خالدة خلود الزمن ثابتة كالصخرة الصماء التي تتكسر عليها الأمواج والأنواء.

وكان من أهم أسباب تمزيق أجزاء الوطن العربي أيضًا تدخل الدول الاستعمارية الأوربية في شؤون الدولة العثمانية نفسها، واستخدام السلطان وسيلة لتحقيق المطامع الأوربية في الشرق الأوسط والشرق العربي والشمال الأفريقي العربي. حتى لقد ذهب الأمر إلى تنازل السلطان العثماني بكل بساطة عن بعض الأقطار العربية في شمال أفريقية لبعض الدول الاستعمارية الأوربية استرضاء لها.

ولما تضعضعت الدولة العثمانية في أواخر أيامها، وأصبح السلطان يعاني من سوء أحوال الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وجد الاستعمار الأوربي فرصته الذهبية فتدخل في شؤون تلك الدولة، وفي شؤون الأقطار العربية جميعها تدخلاً سافرًا، حتى وصل الأمر إلى احتلال الإنكليز لمصر والسودان، وإعلان حمايتهم على مصر بعد قيام الحرب العالمية الأولى.

ولما وضعت تلك الحرب أوزارها، وخرجت منها تركيا مهزومة، وقعت الأقطار العربية فريسة باردة للاستعمار الأوربي، فاستأثرت بريطانيا بوادي النيل، وفرضت حمايتها على العراق، وأصبحت الحاكمة بأمرها في

فلسطين، تحت ستار الانتداب من قبل عصبة الأمم المتحدة لإدارة شؤون فلسطين، وأما سوريا ولبنان وأقطار بلاد المغرب فكانت من نصيب فرنسا. وبسط الاستعمار نفوذه على تلك البلاد بصورة أو بأخرى، سافرًا أحيانًا ومقنعًا أحيانًا.

لقد حاولت الدولة العثمانية - التي ظلت تفرض سلطانها على الوطن العربي نحو أربعة قرون - أن تذيب القومية العربية، وأن تصرف العرب عن وحدتهم، فأخذت تدعو إلى فكرة الجامعة الإسلامية والوحدة الإسلامية بين الأقطار الإسلامية تحت راية تلك الدولة، وقد حمل لواء هذه الفكرة بعض كبار الأدباء والكتاب والمفكرين المسلمين، ومنهم السيد جمال الدين الأفغاني الذي زار مصر، وأقام فيها عدة سنوات في عهد الخديوي إسماعيل، وقد ادعى لنفسه حق التحدث باسم الأمة المصرية، والمطالبة بالدستور، والأمر الذي لا يقبل الجدل أن الدين وحده ليس عنصرًا كافيًا لقيام الوحدة بين الأقطار، وحتى لخلق القومية وقيام الدولة الحديثة، كما أن اختلاف الظروف الجغرافية والسياسية والاجتماعية، واختلاف اللغة بين الأقطار الإسلامية لا يجعل قيام هذه الجامعة الإسلامية التي تحدث عنها الأفغاني وتلاميذه من أمثال الشيخ محمد عبده، والسيد عبدالله النديم، ومصطفى كامل أمرًا سهلاً، وحتى ممكنًا. ولما وطد الاستعمار الأوربي أقدامه في الوطن العربي في القرنين التاسع عشر والعشرين لجأ هو الآخر إلى بذور الفرقة بين أبناء الأقطار العربية، بل بين أبناء القطر العربي الواحد، وذلك عن طريق تأليف الأحزاب السياسية المتناحرة تارة، وعن طريق الفتنة الدينية والعنصرية تارة أخرى، فنحن نذكر على سبيل المثال دسائس الاستعمار في مصر للتفرقة

بين عنصري الأمة من المسلمين والأقباط، ودسائسه في العراق للتفرقة بين السنة والشيعة، وبين العرب والأكراد، ودسائسه أيضًا في الشام للتفرقة بين الدروز والموارنة، ودسائسه في السودان بين المصريين والسودانيين، وفي المغرب العربي بين العرب والبربر.

وأخذ الاستعمار ينفث سمومه أيضًا، ويبلبل الأفكار، فادعى بعض المفكرين والاستعماريين أن العرب ليسوا من أصل واحد (عنصر واحد)، فالمصريون من نسل الفراعنة، والبربر سكان شمال أفريقية من الوندال والرومان واللبنانيون من نسل الصليبيين الإفرنج. إن هذه الادعاءات لا تنطوي على حقيقة علمية؛ لأن سكان الوطن العربي ينتمون جميعًا إلى سلالة البحر المتوسط بفرعيها السامي والحامي، والذي استطاع هضم جميع العناصر الغريبة التي دخلت إليه من خارج الأقطار العربية والامتزاج بها، وبقيت له خصائصه الأنثروبولوجية التي من أبرزها سمرة البشرة ونحافة البنية والقامة المتوسطة، فأنت لا تجد فروقًا جوهرية في تقاطيع الوجه، أو شكل الرأس، أو الأنف، أو طول القامة، أو نوع الشعر بين أغلبية سكان الجزيرة العربية، وسكان وادي الرافدين، أو وادي النيل، أو بلاد المغرب العربي، فكلهم من ناحية السلالة البشرية سواء، وهذه حقيقة علمية ثابتة لا تقبل النقاش.

وقد عمل الاستعمار الفرنسي بصفة خاصة إلى عزل الشمال الأفريقي العربي عن المشرق العربي، وظل يعمل جاهدًا أكثر من قرن من الزمان على تثقيف الشعب العربي في بلاد المغرب وصبغه بالصبغة الفرنسية، حتى أنه حرم تعليم اللغة العربية، والقرآن الكريم، والدين الإسلامي في المدارس، وجعل اللغة الفرنسية لغة التعليم، واللغة الرسمية في دواوين الحكومة، ولغة

التعامل في الأعمال المالية والتجارية، وقد نحا نحوهم الإيطاليون في ليبيا، بالرغم من كل هذا نجد أن الأقطار العربية صمدت لهذه السياسة من جانب الاستعمار التركي والاستعمار الأوربي، ولم تنس قوميتها العربية ووحدتها في أي يوم من الأيام.

لقد انشغلت الأمة العربية في بادئ الأمر بمقاومة المستعمر لإخراجه من أراضيها، فظن الاستعمار أن كل قطر من الأقطار العربية أصبح مشغولاً بمصالحه الخاصة ولا يفكر في غيره من أشقائه، وكان الاستعمار نفسه يروج للأفكار الشعوبية والإقليمية والانعزالية طوال سيطرته على هذه الأفكار.

وحين قامت جامعة الدول العربية - وهي جامعة حكومات رسمية لا جامعة شعبية - فقد كان قيامها متمشيًا مع ظروف الحرب العالمية الثانية، ورغبة الدول الغربية المنتصرة في تلك الحرب في مشاركة العرب في النشاط الدولي الذي يرمي إلى تكتيل جهود الأمم، واتحادها للمحافظة على السلام العالمي. وكانت بريطانيا نفسها تأمل في قرارة نفسها بل إنها خططت سياستها على أساس استغلال تلك الجامعة كأداة سياسية لتحقيق مآربها الاستعمارية، عن طريق الدس بين الدول العربية الأعضاء، واستخدام بعض الحكومات العربية وسيلة للمحافظة على المصالح الاستعمارية في المنطقة، وبذلك تلعب بريطانيا الدور الأول على مسرح السياسة العربية، وتضمن مصالحها في البلاد العربية.

لكن يظهر أن تقدير بريطانيا لم يكن دقيقًا من هذه الناحية، فقد خاب أملها، وكان الاستعمار يعلم مقدمًا كفاح الأمة العربية في نصف القرن الأخير، ويقدر أن تلك الأمة ستحصل على حريتها واستقلالها كان عاجلاً

أو آجلاً؛ ولذلك رسم الاستعمار خطة بعيدة المدى، وهذه الخطة تقوم على إنشاء دولة صهيونية استعمارية في فلسطين، وهو الكيان الصهيوني الذي يمثل رأس جسر للاستعمار الغربي؛ لكي يظل مسيطرًا على المنطقة العربية ويغزو الأسواق العربية، ويستنزف موارد الوطن العربي ويمتص دماء العرب.

وقد قام الكيان الصهيوني بمعاونة الاستعمار سنة ١٩٤٨م، وطرد العرب الفلسطينيين من بلادهم، وسلب أراضيهم، وأصبحوا مجرد لاجئين، فالكيان الصهيوني هو السرطان الجديد، وبديل الاستعمار الذي يهدد حياة الأمة العربية بأسرها.

إذن فالوحدة العربية بين جميع الأقطار العربية هي الطريق الطبيعي، بل الحل العملي الوحيد للتخلص من الاستعمار والصهيونية ومن يسير في ركابهم، والوحدة ستمكن العرب من خلق القوة العسكرية القادرة على الوقوف دائمًا في وجه الاستعمار، والقضاء على الكيان الصهيوني، وردع أي معتد أثيم تسول له نفسه المساس بالوطن العربي، أو الإضرار بمصالح العرب، بالإضافة إلى كل هذا فإن للوحدة أهدافًا اقتصادية لا تقل أهمية عن الأهداف السياسية. إن الوحدة ستمكن العرب من استغلال موارد بلادهم الطبيعية وطاقاتها المادية وإمكانياتها البشرية على خير وجه، لذلك فهي الطريق السليم لتنمية الاقتصاد العربي، ورفع الدخل القومي عن طريق التصنيع، وزيادة رقعة الأرض المزروعة، وتحسين إنتاجية الأرض، وزيادة الغلة الزراعية، وبذلك يزيد الدخل الفردي والقومي.

إن نظرة إلى خريطة الوطن العربي وما تحتويه من موارد طبيعية هائلة ومتنوعة نباتية ومعدنية وما يتوافر فيها من مصادر كثيرة للقوى الطبيعية

والبشرية تكفي للاقتناع بأن هذا الإقليم يؤلف وحدة اقتصادية متكاملة.

إن الوطن العربي يستطيع أن يصل إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي في الصناعة والزراعة والتجارة، ويجد كل حاجاته من المواد الغذائية والقوى المحركة دون الحاجة إلى الاستيراد من الخارج، بل إن الوطن العربي قادر على استغلال موارده الطبيعية محليًا والاستفادة منها؛ وذلك لسد حاجة السوق العربية كلها بدلاً من تصدير بعض هذه الموارد إلى الخارج، كما يحدث حاليًا في تصدير بعض هذه الموارد إلى الخارج، وكما يحدث حاليًا في تصدير معظم منتجاته البترولية إلى أوربا وأمريكا، أو تصدير بعض محاصيله الزراعية كالقمح أو الفواكه إلى البلاد الأجنبية، في حين أن بعض أجزاء الوطن العربي يستورد الآن هذه المنتجات.

وهناك مساحات شاسعة تقدر بملايين الأفدنة من الأرض القابلة للزراعة في العراق وسوريا والسودان ولا ينقصها إلا الأيدي العاملة؛ نظرًا لقلة عدد سكان هذه الأقطار، وفي الإمكان تيسير هذه الأيدي من الأقطار العربية الأخرى، فالوحدة هي التي تستطيع أن تحقق هذا التكامل البشري وأن تخضع الاقتصاد العربي للتخطيط العلمي من أجل تهيئة حياة أفضل للعرب.





اليمن في عصوره القديمة

الملكة السيدة الحرة ملكة ملوك اليمن[1]

بمناسبة المؤتمر النسوي:

يخال بعض الناس أن المرأة العربية لم يكن لها شأن يذكر في الأعمال الجسام والأحداث العظام، وأنها لم تكن إلا مرؤوسة للرجل خاضعة لسلطانه، مع أن نظرة سريعة إلى التاريخ تعصف بهذا الوهم، وتذهب به أدراج الرياح، فإن من النساء العربيات من رأست الرجال، وقادت الجيوش إلى مواطن النصر، وساست الممالك أرشد السياسات وأقومها، وقد ذكر القرآن الكريم منهن (بلقيس) ملكة سبأ في اليمن، كما كشف علم الآثار عن (زنوبية) ملكة تدمر التي يسميها العرب في أقاصيصهم (الزباء)، وفيهن الكثيرات ممن قدن الجيوش، وثللن العروش، مما لو أفضنا فيه لخرجنا عن الحدود التي اختططناها لهذا المقال، هذا قبل الإسلام، أما بعده فقد ظهر منهن عدد عديد كان له المكان الأفسح في تاريخنا، وأنا لا أريد أن أتبسط في ذكر الكثيرات من العربيات اللواتي ضربن بسهم وافر في النهضة الإسلامية، وإنما أريد أن أقصر هذا المقال على امرأة ملكت اليمن ودان لسلطانها ملوكه وأمراؤه، فساستهم أحسن سياسة، وكان عهدها من أحسن عهود اليمن أمنًا وعدلاً ورفاهية.

تلك هي (**أروى بنت أحمد الصليحي**) من الأسرة التي ملكت اليمن من

---

(١) الأستاذ طه الراوي، مجلة عالم الغد، العدد ٧، السنة الأولى، ١ مارس ١٩٤٥م، ص١٩٩، ٢٠٠.

أواسط القرن الخامس الهجري إلى أواسط القرن السادس، وأول ملوكهم (**علي بن محمد بن علي الصليحي**)، وآخر ملوكهم السيدة (أروى) التي توفيت سنة **٥٤٥**هـ.

وكانت ولادتها سنة **٤٤٠**هـ في اليمن، وفي بيت الملك، وتولت (أسماء بنت شهاب الصليحية) تربيتها وتهذيبها، فنشأت حافظة للقرآن، واسعة الإطلاع على الآداب، متفقهة في الدين، مع ذكاء مفرط وعقل رصين، وكانت تجمع إلى هذه الصفات جمالاً بارعًا يضرب به المثل، فكانت بيضاء مشربة بحمرة، مديدة القامة، معتدلة البدن، إلى السمن أقرب، جميلة الملامح، فصيحة اللسان، وكانت على ذلك جهورية الصوت، ثم اقترنت بـ(أحمد بن علي الصليحي) الملقب بالمكرم سنة **٤٦١**هـ، وكان إذ ذاك لا يزال وليًا للعهد، فرزقت منه أربعة أولاد ابنان وقد ماتا صغيرين، وابنتان عاشتا حتى تزوجتا من بعض الأمراء.

ولما انتقل صولجان الملك إلى (أحمد بن علي الصليحي) زوج الحرة، وقعت بينه وبين بعض متغلبة الأحباش في اليمن وقائع يطول شرحها، انتهت بانتصاره عليهم، وأصيب من جراء تلك الوقائع بأتعاب عصبية؛ فرأى أن يعتزل السياسة، ويركن إلى الراحة، فعهد إلى زوجه السيدة أن تقوم مقامه في سياسة المملكة، فامتنعت أولاً وقالت: إن المرأة ملكة البيت، فليس لها أن تفارق مملكتها هذه إلى غيرها، ولكنها لما آنست منه الإلحاح في الطلب أقدمت على ما ندبها إليه بعزيمة صادقة، ونية خالصة، فرأت أولاً أن تنشئ لزوجها قصرًا عظيمًا بموضع يعرف **بذي جبلة**. فلما تم ما أرادت انتقل زوجها إليه، وأطلقت عليه اسم (**دار العز**)، ثم إن زوجها أمر ببناء قصر آخر

بين نهرين هناك، وأطلق عليه اسم (**دار العز الثانية**)، وهنالك انفرد بلهوه وطربه، وترك تدبير الملك إلى زوجه السيدة، فنهضت بأعبائه بقوة ودراية، وبقي الملك المكرم في دار العز إلى أن توفاه الله سنة ٤٨٤هـ، فانفردت السيدة بتدبير الملك، وانتقلت إلى دار العز بذي جبلة.

ومن بارع تدابيرها أنها احتالت على (سعيد بن الأحول الحبشي) الذي وثب على (زبيد) وانتزعها من آل الصليحي، فأخرجته من (زبيد) وقتلته وأبادت عسكره، وضمت (زبيدًا) إلى مملكتها، وخلاصة ذلك أنها حرضت بعض أمراء اليمن أن يسول لسعيد هذا أمر الاستيلاء على ملك آل الصليحي بدعوى أن ملكهم المكرم أقام على اللهو واللعب، فخرج سعيد بجيشه للاستيلاء على ذي جبلة أولاً، فأرسلت هي من وقتها جيشًا لاحتلال زبيد أولاً، ثم جيشًا آخر عرض لجيش سعيد في بعض منازله فأباده وقتل سعيدًا هذا، وبذلك تخلصت من أكبر مناوئ لآل الصليحي في تهامة.

وبعد وفاة زوجها المكرم حاول (**سبأ بن أحمد الصليحي**) المعروف بالداعي[١] أن يخطبها لنفسه، ولم يكن يقصد من وراء ذلك إلا الاستيلاء على مملكتها، فأبت عليه أشد الإباء فغزاها جيش لجب، فقابلته بمثله، وكان بين الجيشين وقائع أريقت فيها دماء كثيرة، ثم أشار على سبأ بعض النصحاء بأن يوسط في حل هذه المشكلة (المستنصر الفاطمي) بمصر، ففعل، فأجابه المستنصر إلى طلبته، وكتب إلى السيدة الملكة في أثناء المكاتبات ثلاثة أسطر يأمرها فيها بنكاح الداعي سبأ، وسير إليها أستاذًا له،

(١) كان الفاطميون بمصر يطلقون هذا اللقب على من يخلص لهم الولاء من الأمراء وغيرهم.

فحضر مع جماعة من حاشية سبأ إلى السيدة، فاستأذنوا عليها في قصرها فقال الرسول: "أمير المؤمنين يرد على الحرة الملكة السيدة الرضية الزكية، وحيدة الزمن، سيدة ملوك اليمن، عمدة الإسلام، ذخيرة الدين، عصمة المسترشدين، كهف المستجيبين، ولية أمير المؤمنين، وكافلة أوليائه الميامين، ويقول لها: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزَاب: ٣٦]. وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من الداعي الأوحد المنصور المظفر، عمدة الخلافة أمير الأمراء أبي حمير سبأ بن أحمد بن علي الصليحي على ما حضر من المال وهو مائة ألف دينار عينًا وخمسون ألفًا أصنافًا، من تحف وألطاف وطيب وكساوى ...".

فقالت: أما كتاب مولانا فأقول فيه: إني إلى كتاب كريم إنه من سليمان وإن بسم الله الرحمن الرحيم. ولا أقول في أمر مولانا يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرًا حتى تشهدون. وأما أنت يا ابن الأصبهاني فوالله ما جئت إلى مولانا من سبأ بنبأ يقين، ولقد حرفتم القول عن مواضعه وسولت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.

ثم تقدم (زريع بن أبي الفتح) وزيرها و(الأصبهاني) ونظراؤهما فلم يزالوا يلاطفونها حتى أجابتهم، فعقدوا النكاح، ولم يلبث سبأ المذكور أن سار في جيش ضخم إلى ذي جبلة فأقام هنالك شهرًا وأقام الضيافات الواسعة في مخيمه، وأنفق على عساكره من ماله مثل الذي قدمه إلى السيدة الملكة من المهر، فعل كل ذلك قبل أن يستأذن على الملكة بالدخول إليها، وهنالك وقف على مكانة تلك الملكة في قلوب رعيتها وشدة تعلقهم بطاعتها، وكثرة

ثنائهم على كياستها وحسن سياستها، فأرسل إليها يستأذن بالدخول إلى القصر؛ ليتوهم الناس أنه بنى عليها، فأذنت له فلم يقم في القصر إلا ليلة واحدة، قيل: إنه لم يرها فيها، ورحل عن ذي جبلة إلى مقره..

ولم تزل تدبر المملكة أحسن تدبير وتسوسها أحسن سياسة إلى أن وافاها الأجل سنة **٥٤٥هـ**، ولها في رفقها بالرعية وتقريب أهل الفضل والعلم وحكايات يطول سردها، وكانت من الحزم بمكان، بحيث لم يخرج عليها خارج فيفلت من قبضتها، وكانت تضرب بعض الخارجين ببعض فتفلح في النهاية، ويكون لها القول الفصل بين الفريقين، وكانت صلتها بالفاطميين بمصر وثيقة العرى، فلم تكن تعصي لهم أمرًا، ولا تخرج عن حدود ما يرسمون، وكان الفاطميون يعظمونها ويرفعون مكانتها، ومن أمثلة ما يكتبون لها في صدور رسائلهم ما نصه: " إلى الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية، وحيدة الزمن، وسيدة ملوك اليمن، عمدة الإسلام، خاصة الإمام، ذخيرة الدين، عمدة المؤمنين، كهف المستجيبين، عصبة المسترشدين، وولية أمير المؤمنين، وكافة أوليائه الميامين، أدام الله تمكينها ونعمتها، وأحسن توفيقها ومعونتها ...الخ".

ولم يطمع طامع في انتزاع ملك آل الصليحي مدة حياتها، فلما انتقلت إلى جوار ربها وجاء واثب يقال له **علي بن مهدي الحميري** - وكان في أول أمره واعظًا مرشدًا - فانتزع مملكة اليمن كلها من أيدي الصليحيين وغيرهم، واستبد بمملكة اليمن كلها، وساس الناس سياسة صارمة لا هوادة فيها، فكان يحكم بقتل المغنين، وقتل من لا يحضر صلاة الجماعة من جنده، وقتل من يشرب الخمر، وينتزع ما يملكه رعيته من مال، فصار

الناس يذكرون عهد السيدة الحرة بالإجلال والإكبار ويصفونه بعهد العدل والأمن والرفاهية.

وإنما أسهبنا بعض الشيء في تاريخ هذه السيدة؛ ليطلع القراء الكرام على ما كان للمرأة الصالحة في تاريخ العرب من مكانة ترتفع بها إلى أسمى الدرجات في العلم والأدب والسياسة؛ وليتعلم القارئات الكريمات أن البارعة منهن التي تتحلى بالفضائل وتتميز بكرائم الخصال، لا يمكن أن يحول الرجل بينها وبين ما تستحقه من مكانة، فدعوى أن الرجال هم الظالمون للنساء، أو النساء هن الظالمات للرجال، لا يؤيدها التاريخ ولا يقوم عليها البرهان، بل التاريخ يشهد على خلاف ذلك والبرهان يؤيد ما شهد به التاريخ.

فباب العلم مفتوح اليوم للنساء كما هو مفتوح للرجال، فما عليهن إلا يجلين في هذه الحلبة ليثبتن أنهن جديرات بالسبق إلى أعالي الأمور. ولابد لي أن أشير إلى أن العلم وحده لا يرفع من مكانة المرأة إن لم يرفعها خلقها الكريم وسجاياها الحميدة، فإذا جمعت المرأة بين المعارف الصحيحة والأخلاق الراجحة فقد جمعت بين الحسنيين، وكان لها الحق كل الحق أن تفوز بالإكرام والاحترام، وتفضل من هو دونها علمًا وخلقًا من الرجال والنساء على حد سواء.



مدنية العرب[1]

للمستشرق الألماني الكبير - هل -:

جوزيف هل: هو من أشهر المستشرقين الألمان، وأستاذ الآداب العربية في جامعة ارلنكن.

ولد في ١٤ نيسان سنة ١٨٧٥م في قرية (فلس بيورغ)، ودرس العلوم الإسلامية والعربية في جامعتي (ميونخ، وبرلين)، كما درسها أيضًا في الكلية الأمريكية ببيروت لمدة سنتين.

وفي سنة ١٩١١م تعين أستاذًا للعلوم الإسلامية والعربية في جامعة (ارلنكن)، وفي سنة ١٩٢٦م أصبح عميدًا لها، وقد قام برحلات علمية كثيرة في ربوع الشرق العربي، والشمال الأفريقي الغربي، منها سوريا، وفلسطين، وتونس، والجزائر، ومراكش، ثم ذهب إلى أسبانيا ودرس مكتبة الأسكوريال، كما بقي مدة طويلة في القاهرة يدرس كتب المكتبة الخديوية فيها، كذلك زار الأستانة ودرس فيها ما في مكتباتها من مخطوطات.

أما تاليفه التي نشرها هذا المستشرق العظيم بعد التاريخ المذكور، فهي ديوان الفرزدق، وكتابًا عن تاريخ حياة هذا الشاعر العربي، كذلك ألف كتابًا قيمًا عن الحركة الفكرية الإسلامية منذ عهد الرسول الأعظم ﷺ حتى وفاة

---

(١) مجلة البعث العربي، مجلة ثقافية يصدرها نادي البعث العربي (بغداد) العدد الثاني، السنة الأولى، ١ كانون الثاني ١٩٥٢م، ص١٦، ١٨.

الإمام الغزالي، وألف كتابًا آخر عنوانه (أثر المدنية الغربية على حاضر العالم الإسلامي)، وكذلك ألف كتابًا عن طبقات الشعر وصفوفه للشاعر العربي ابن سلام الجمحي، وفي سنة **١٩٢٦**م أصدر **تأليفه** القيِّم عن ديوان أبي ذوئيب، وفي سنة **١٩٣٣**م ألف كتابه المعروف ديوان الهذيليين الجديد، وكتابه هذا (مدنية العرب) الذي نضعه بين أيدي القراء والذي ألفه سنة **١٩١٨**م لا تستغني عنه أية مكتبة تتناول بحوثها العالم العربي، ويعد مآثره من مآثر العرب الخالدة، كما ويعبر عن الروح الطيبة التي يحملها هذا العالم الألماني الجليل تجاه الشعب العربي، وذلك ببحوثه العلمية غير المتحيزة والذي استنفذت معظم حياته ناشرًا علوم العرب في بلاد الغرب، وقد قام أحد المسلمين الهنود (خدا بخشت) بترجمة هذا الكتاب إلى الإنكليزية، ولكن الترجمة ظهرت بشيء من التصرف، فرأى الدكتور محمود حسين الأمين ضرورة نقل هذا إلى العربية فترجم فصوله عام **١٩٤٧**م، ولأسباب مالية وأخرى لا تسنح له بطبع الترجمة فقد ارتأى نشرها على صفحات مجلة البعث العربي بأعدادها المتعاقبة، ونذكر أن المترجم قد درس التاريخ الإسلامي بالإضافة إلى اختصاصه في جامعة برلين، وممن يجيدون اللغة الألمانية إجادة تامة.

بلاد العرب قبل الإسلام:

إن الباحث الحقيقي لمدنيات البشر جميعها هو الحاجة، فالناس وكلهم بحاجة إلى اللذة والقوة والجمال والحقيقة، وهي ضمن أفقها الواسع تشكل هذه الأهداف الأخيرة الناتجة عن الجهود البشرية التي هي العناصر الأساسية لأي تقدم أبدي، غير أن هذه الأهداف السامية تبقى كامنة وراء

حواجز تتقدمها حاجات مختلفة معينة لا يمكن التوصل إليها إلا بعد التغلب على تلك الحواجز تدريجيًا، فإذا ما تم التغلب بفتح الطريق إلى عالم جديد مملوء بالأهداف السامية، وهذا هو الطريق لكل مدنية، والحاجات تعني أهدافًا جديدة والسعي لتحقيقها معناه الاستعداد وتكوين القابلية للمدنية، والتوصل إليها معناه إيجاد المدنية وإيصالها لشعب آخر معناه نشر المدنية وتبليغ رسالتها.

وإن تاريخ مدنية شعب هو تاريخ حاجاته المتزايدة النامية، ثم العمل على تحقيق هذه الحاجات واستثمارها على أساس هذا الرأي، فإنه يمكن التحدث عن مدنية العرب وعن نشرهم رسالتها التاريخية، على أنه لا تستطيع القول بأن العرب أوجدوا من أنفسهم المدنية الإسلامية، أو انفردوا بحمل لوائها، أو أنه كان لهم القسط الأكبر في نشرها، ولكنهم هم الذين قدموا البواعث الأساسية التي بموجبها نشأت المدنية الإسلامية وتجاوزتهم إلى غيرها، ولو نظرنا إلى حاضر البلاد العربية (الجزيرة العربية) لصعب الاعتقاد بأن سكانها كانوا يومًا ما مبلغي رسالة ما.

أذكر أن هذه البلاد تعتبر من جملة **أصقاع المعمورة المجهولة، كذلك فإن شعبها يعتبر شعبًا منعزلاً لا تماس له ولا اتصال مع غيره، وكذلك فهو شعب مفكك العرى، مكون من قبائل متبدية تغزو بعضها بعضًا، يكاد روح الإسلام لم يمسسها بعد، ما خلا دويلات متناثرة، فسكان قلب الجزيرة يظهرون وكأنهم بعيدون عن بواعث المدنية ولا يشعرون بالحاجة إليها، يعيشون على نمط واحد، ولا تغيير في حياتهم ولا تبديل، مثلهم في هذا**

كمثل طبيعة بلادهم وصحرائهم القاحلة وبراريهم المجدبة.

ومع ذلك كله فإن هذا الشعب يثب في القرن السابع الميلادي، ويطغى سلطانه على العالم القديم بأسره، ولم يكن هذا للمرة الأولى في تاريخ البشرية، فلقد دلت التنقيبات والأبحاث التي أجريت في العصر الحاضر أن البلاد العربية التي تحتل دومًا المكانة الأولى في أدوار الشرق القديم، وكانت تلعب دورًا خطيرًا في تكوين مدنياته، فالاعتقاد السائد أن الجزيرة العربية كانت الوطن الأصلي لجميع الشعوب السامية، وكذلك فإن هناك حقيقة واقعية، وهي أن بلاد بابل مهد المدنية القديمة كانت تحكم في مستهل الألف الثالث قبل المسيح من قبل شعب سامي جاء من أواسط الجزيرة العربية، وكذلك فالكتابات الكثيرة التي وجدت على الصخور في مختلف مناطق الجزيرة تدل بوضوح على أن دولاً عديدة قامت في الأزمان التي سبقت المسيحية، وازدهرت فيها مدنيات لا تقل عن مدنيات الدول الأخرى التي جاورتها.

وتتلاشى الدهشة لهذه الحقائق المفاجئة عند التأكد من طبوغرافية الجزيرة العربية الغريبة من أنها لا تتكون من صحاري **وبوادٍ فقط، وإنما من مناطق خصبة أيضًا، كانت تزدهر منذ آلاف السنين بقرى ومدن عامرة ومزدحمة بالسكان.**

وأمثال هذه المناطق توجد على طول حدود قلب الجزيرة وأطرافه، ففي الجنوب الغربي منه تقع بلاد اليمن التي كانت تدعى منذ القدم بالبلاد العربية السعيدة، وتقع في الجنوب حضرموت البلاد التي كانت تمتاز بتجارة البخور، وتقع في شرق الجزيرة العربية بلاد الأحساء وهي شواطئ الخليج

العربي الخصبة، باستثناء بعض الأماكن فإن الساحل الشرقي للجزيرة العربية يعتبر خصبًا يسوده العمران، أما الساحل الغربي المكون من جبال وهضاب فهو فقير يقل فيه العمران، ومع ذلك فإننا نجد فيه اليوم مراعي خصبة، وقد كان فيما مضى أكثر خصوبة وعمرانًا منه في الوقت الحاضر، أما أواسط الجزيرة العربية المتشكلة من هضبة نجد وجبالها المعزولة، ومجاري شعبها الطويلة المسماة بالأودية والبراري والتي تسرح فيها أحسن الخيول العربية، وكذلك القسم الجنوبي الشرقي الذي يكون الجزيرة العربية أعظم مدخر للحبوب والمسمى (باليمامة) (الخرج)، كل هذه المناطق المذكورة تستطيع أن تعيش شعبًا، فقد كان بعض هذه المناطق في أواخر القرنين السادس والسابع الميلادي أحسن وأرقى بكثير من بعض البلاد الأوربية والألمانية في ذلك الوقت، ولا يقل البعض الآخر مدنية وثقافة عن هذه المناطق الأوربية المذكورة.

وإلى جانب هذه البقاع الخصبة الجيدة توجد بالطبع أراضي قاحلة نظرًا لقلة المياه فيها، الأمر الذي يؤدي إلى انعدام الحياة فيها وصعوبة النقل وتلك التي نسميها بالصحاري، ومن سوء حظ الجزيرة العربية أن هذه الصحاري تقع بين المناطق الخصبة، فتؤدي إلى انعزالها وعدم اتصالها مع الأخرى، ولذا فإن صحراء (الربع الخالي) أكبر صحاري الجزيرة العربية القاحلة تكره السكان العرب على الانحدار إلى السواحل الجنوبية والجنوبية الغربية، وتكون حائلاً متبعًا بينها وبين أواسط الجزيرة سكان منطقة **عمان** الواقعة في الجنوب الشرقي من الجزيرة وسكان **المهرة** الواقعة في الجنوب تمامًا يشكلون والحالة هذه شعبًا منفصلاً مستقلاً بذاته لا تمسه مطلقًا

التقلبات والتطورات التي تحدث في قلب الجزيرة العربية، فالصحراء القاحلة التي تشمل أواسط الجزيرة والتلال الرملية الممتدة على ساحل البحر الأحمر والتي تشكل منطقة هامة كانت من أهم العوامل الطبيعية التي جعلت سكان الزاوية الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية يبقون في أماكنهم بمعزل عن بقية الأقطار العربية نحو بضعة آلاف من السنين، ولكن هذه البقعة من البلاد العربية استطاعت أن تخرج من عزلتها خلال مدد متفاوتة، وتبسط نفوذها وتنشر ثقافتها ومدنيتها على كثير من الأقطار المجاورة لها، الأمر الذي يجعلنا نعطي لهذه الزاوية من الجزيرة العربية حقها الوافي من البحث لما لها من مدنية وثقافة، تعدان من أقدم وأعرق المدنيات والثقافات العربية.

إن الكتابات الكثيرة التي عثر عليها في أطلال اليمن خلال سبعين سنة المنصرمة والتي صارت تدرس حال اكتشافها بجد ونشاط، تقدم لنا بالرغم من عدم الانتهاء من دراستها - التي قد تستغرق زمنًا طويلاً - معلومات عن قيام دولتين فيها في الزمن الذي سبق المسيح، وزعزعت الاعتقاد السائد بأن هاتين الدولتين عاشتا جنبًا إلى جنب حتى العصور اليونانية المتأخرة.

فقد أثبت العالم الأثري (أدور كلازر) أن دولة سبأ قضت على دولة معين وخلفتها في الحكم على بلاد اليمن، ومع إن الاختلاف في الرأي على الصلات الزمنية بين الدولتين لا يزال موجودًا لدى العلماء والمؤرخين، فإن ذلك لا يمنع من القول بأن دولة معين ترجع في القدم إلى أواسط الألف الثاني قبل المسيح؛ لأن الشروط الضامنة لبقائها هذه المدة الطويلة ظلت على حالها بدون تغيير مدة تقارب الألف سنة، فمنتوجات بلادها التي كانت مرغوبة في مصر، ولاسيما البخور منها والمر، وموقعها على الطريق

بين الهند ومصر، جعلت من هذه البلاد دولة تجارية، وقد أكدت ذلك الوثائق التاريخية، فقد جاء في أقدم أخبارها أن **سلطات** هذه الدولة امتد إلى مدينة (غزة) الواقعة على البحر المتوسط، وكونت لها قواعد عسكرية، وأماكن لصنع الأسلحة، ومحطات تجارية على طول الطريق المؤدية إلى البحر المتوسط.

أما دولة سبأ فإنها لم تختلف بشيء من هذه الناحية عن دولة معين، سوى أنها أسرعت إلى الاضمحلال عندما أخذت اليمن تفقد أهميتها ومكانتها في التجارة العالمية.

فقد ضعفت صلات **السبئيين** التجارية في بادئ الأمر مع الشمال؛ وذلك على أثر استيلاء البطالسة على المواصلات التجارية في البحر الأحمر، ولكن مع ذلك فقد بقيت سبأ تمون المعابد المصرية الرئيسية بالبخور، كما ورد ذلك في عصر النصوص التاريخية من عصر البطالسة.

لقد كانت ثروة دولة سبأ تمتاز بشهرة عالمية، كما كانت تمتاز بقوتها أيضًا، إذ ثبت بوجه (اليوس كاللوس) قائد القيصر الروماني (أغسطوس)الذي ارتد مرغمًا على أعقابه أمام أسوار مأرب الحصينة بعد أن تغلغل في داخل اليمن وأحرز بعض الانتصارات في الابتداء.

وأخذت دولة سبأ تهبط من عليائها شيئًا فشيئًا، وتهوي إلى الحضيض حتى دالت واضمحلت، وتلك نهاية تضيق لحد اليوم معلوماتنا التاريخية عن معرفة الأسباب الأخيرة التي أدت إلى زوال هذه الدولة، ويقول العرب: إن سبب انهيارها يرجع في الغالب إلى انهيار سد مأرب الذي إنهم يحاولون ربط هذا المصير بالنخر الذي أصاب السد العظيم.

وكذلك بقيت اليمن بعد هذا الانهيار أكثر البلاد العربية تماسًا مع الدول القوية وأكثرها طمعًا، فقد تنافست الدول المتمدنة الكبرى للاستيلاء عليها بنشر مذاهبها ومبادئها بين سكانها.

وكانت الحبشة التي اعتنقت المسيحية منذ القرن الرابع الميلادي أولى هذه الدول التي طمعت في حكم اليمن، وتمكنت من الاستيلاء عليها ولكن بمساعدة **البيزنطيين**، غير أن اليمانيين من عرب وثنيين ويهود كثيرين تكتلوا ضد السيطرة الأجنبية، والتفوا حول حكومة الملك ذي نوّاس سنة **٥٢٠**م.

وكما كان نجاشي الحبشة المسيحي يلتمس المساعدة والقوة من بيزنطيا، كذلك فإن حكومة اليمن العربية كانت تطلب المساعدة من فارس الدولة الوثنية القوية وتلتمس حمايتها.

وفي ذات مرة أرسلت بيزنطيا بواخرها لنجدة الأحباش في حربهم الطاحنة مع اليمانيين وانتهت بانتصار النصرانية وجعل اليمن مقاطعة حبشية من جديد، غير أن الفرس لم يحولوا طمعهم عن هذه الزاوية الغنية من الجزيرة العربية وظلوا يتحينون الفرص لابتلاعها، ففي سنة **٥٧٠**م وجدوا الفرصة سانحة لغزو اليمن، وانضم سكان اليمن المستاؤون من حكم النصرانية الدخيلة إلى الجيش الفارسي وطردوا الأحباش والنصرانية للمرة الثانية من جنوب البلاد العربية، ولكن لقاء ذلك بقي الفرس في البلاد أسيادًا وأخذت اليمن تدار من قبل عامل فارسي على غرار الحكم الإداري في فارس، غير أن الفرس لم يحكموا البلاد حكمًا استبداديًا أو يهتموا بإدارتها فقد كان همهم الوحيد التمتع بخيرات البلاد وثرائها فقد تركوا الشعب لا يشعر بسلطة أجنبية مما أدى إلى رضوخ اليمانيين إلى مصيرهم

هذا ووضعهم الجديد وتدهور العقيدة القومية والشعور الوطني.

يتضح مما تقدم[1] أن اليمن كانت مدخلاً تنفذ منه الدولتان العظيمتان روما الشرقية وفارس إلى الجزيرة العربية، إذ الشمال يحول دون تأثير ذلك لوجود الصحراء السورية العربية (بلاد الشام) التي تمتد كالسهم بينها ثم تحيط إلى جنوب الجزيرة بشكل كماشة تصطاد كل جسم غريب.

ومع هذه الحصانة الطبيعية لبلاد اليمن وقابليتها التمدنية، فإن بيزنطيا وفارس الدولتين المتمدنتين لم تستطيعا التأثير عليها ثقافيًا وطبعها بطابع مدنيتهما، فإن ما نجده في اليمن من مدنية هي من نتاج مدنية عريقة منبعثة عن اليمانيين أنفسهم، وإنه لمن المؤسف أن تكون معلوماتنا عن هذه المدنية ناقصة غير مرتبطة، ولكن ما نعرفه يكفي ليؤكد لنا قيام مدنية في اليمن كهذه التي نحن بصددها، أما نشوء هذه المدنية وتكوينها ونموها واتساعها خلال أدوار تاريخية محدودة فستنيرها لنا البحوث العلمية المقبلة.

إذا اعتبرنا المقاييس الزمنية أساسًا لتمدن الشعوب وجب علينا سرد الحقيقة التالية وهي أننا كلما تعمقنا بمعلوماتنا في بطون التاريخ القديم لا نجد بأن العرب كانوا في دور من أدواره شعبًا متوحشًا، وأننا نجد العرب دائمًا منظمين إلى مجموعات وتشكيلات قبلية يتمتع الفرد فيها بحق حماية المجموع، وانضمام عدد من القبائل إلى بعضها وتشكيلها قبيلة واحدة وقوية تعتبر من أقدم تشكيلات الدولة من دون محو وعي الانتساب القبلي أو

---

(١) ترجمة الدكتور محمود حسين الأمين، مدير المباحث الآشورية في مديرية الآثار القديمة، مجلة البعث العربي، العدد الخامس، السنة الأولى، ١٥ شباط ١٩٥٢م، ص١٠، ١٢.

النعرة القبلية، ويتقلد أعلى منصب في دولة كهذه الملك، وإن معلوماتنا مقتضبة عن كيفية توسع هذه السلطة الملكية ورقعة نفوذها، ويمكننا أن نقول بوجه الإجمال بأن حرمة الملك في الأزمنة القديمة كانت مرتبطة بالمهمة الدينية بصفته الكاهن الأعلى، وقد كان سلطانه على الشعب في بادئ الأمر يتوقف على مقدار ما يكنه الشعب من احترام وتقدير لشخصيته، وتوسع مدلول الملكية في الأزمان السبئية المتأخرة فأصبح معنى الملك يعرف ويفسر بسيد يسود أتباعًا، كما نجده في هذا العصر يملك أراضي واسعة بشكل إقطاعيات، وأصبحت تضرب باسمه النقود من الذهب والنحاس والفضة، فتحمل في وجه صورة الملك وترسم على الوجه الثاني رموزه، (إما صورة بومة أو رأس ثور أو ما يشبه ذلك)، وقد عثرنا على كميات كثيرة من هذه النقود التي تجلب انتباهنا من جديد عما لدينا من المعلومات القليلة حتى يومنا هذا عن تطور المدنية في بلاد اليمن، كذلك ترينا هذه النقود شدة تأثرها بالنقود اليونانية ومن بعدها بالنقود الرومانية، فقد قلد اليمانيون بصنعها اليونان والرومان هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإنها تطلعنا على صور الملوك اليمانيين وعلى صناعة الضرب عندهم والقيمة الفنية لرسم النقود وزخرفتها، وبذلك يمكننا أن نلقي نظرة قصيرة على ناحية من تطور المدنية عند عرب الجنوب، فنحن نرى أن هذه النقود كيف أن الملوك في الزمن القديم كانوا يظهرون بزي الشعر العربي الذي كان يمثل باسترسال شعر الرأس على الأكتاف ويترك لينمو طويلاً على طبيعته، ومن بعد أخذ شعر الرأس يضفر بصورة ضفائر وأخيرًا أخذ يقص على هيئة شعر الرأس عند قياصرة الرومان.

كذلك يوجد تطور في فن الرسم لا يمكن إغفاله وهو أن النقود القديمة تمتاز على الأخص بدقة الصنع والتناسق ومهارة فن الرسم، ومن الغريب أنها تظهر في مستوى واحد مع النقود التي ضربت في الدور المتأخر، وتتشابه معها حتى بدقائق الصنع ومهارة الزخرفة على حين تظهر مجموعة النقود التي تتوسط هذين الدورين بصناعة رديئة تبوح بسر تدهور قابلية الرسم والزخرفة في هذا الدور، ولقد بقيت صناعة الضرب ضعيفة في جميع الأدوار التاريخية في اليمن.

وكما تلقي النقود ضوءًا خاطفًا على تطور الملكية في اليمن، كذلك يوجد هناك ما ينير لنا الطريق إلى أهم ناحية من نواحي المدنية البشرية ألا وهي الناحية الدينية، فلقد وجد في كتابات عرب الجنوب عدد كبير من أسماء الآلهة تفصح عما كان للدين من منزلة كبرى وأهمية خطيرة في حياة الدولة في اليمن، ولكننا لا نعرف كذلك شيئًا عن كيفية ظهور هذه الآلهة وخواصها وصفاتها الرئيسية، وكل ما نعلمه عنها أنها كانت في الأصل أحجارًا، ولقد انطلقنا من مضمون التضرعات، ومراسيم القرابين، وترتيلات الحمد المعروفة، أن عرب الجنوب كانوا لا يعتقدون بالحياة والبعث بعد الموت والسعادة الأخروية، وهذا ما حدا بالباحث (بلنيوس) إلى القول: بأن وجود المعابد في جنوب الجزيرة بهذه الكثرة الهائلة ليس ناتجًا عن تأثير الدين العميق لدين سكان اليمن، وإنما هو دليل على شدة تنفذ رجال الدين، وعما لدين عرب الجنوب من حاجة معينة إلى الفن والعمران.

والحقيقة أن الزاوية الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية هي البقعة الوحيدة في الجزيرة التي نعثر فيها على أقدم نتاج للفن والعمران.

فطبيعة البلاد تقدم أحسن مواد البناء مثل حجر الكرافيت والرخام الأحمر (البروفير) والرخام العادي، ولقد ألجأت القبائل البدوية في المناطق المجاورة - والتي ديدنها السلب والغزو - سكان اليمن إلى بناء البيوت المحكمة وبشكل الأبراج والقلاع، وبهذه الواسطة تحولت اليمن إلى بلد تغمرها القلاع والقصور المنيعة، ولا تزال آثارها وأطلالها شاخصة اليوم بكثرة تدل على ما كان يتصف به القوم من حب ورغبة ببناء المباني الضخمة، **فقصر غمدان** الذي بني بشكل برج شامخ مكون من عشرين طابقًا، ومعبد مأرب الذي بنيت أسواره بشكل أهليجي تمتد على طول أرضه المتموجة بارتفاع تسعة أمتار ونصف، وكذلك سد مأرب الذي شاهد الرحالون بقاياه، فهذه الآثار كلها شواهد صدق على تطور هذه الأبنية، وهي وليدة الأحوال والظروف وناتجة عن وفرة مواد البناء التي تتراءى لنا حتى في يومنا هذا، فإننا نجد في مظاهر المدنية الأخرى محاولات قام بها عرب الجنوب لتصوير روحيتهم العقلية بأشكال مثبتة تعبر عما كان يدور في خلد القوم من آراء وما كان لديهم من ثقافة.

فقد فاجأتنا أقدم الكتابات الصخرية المعروفة لدينا والتي قد يرجع عصرها إلى الألف الأول قبل المسيح، بتناسق الخط ووضوحه وبالزخارف التي تحيط بكثير من هذه الكتابات، فترينا موجة من الفن يحلو لنا بموجبها أن نعتقد بما قاله الهمداني الجغرافي العربي عن زخارف واجهات المعابد والقصور في جنوب الجزيرة.

وإن أحسن الدلائل عن فن البناء لا نشاهدها في اليمن وحضرموت فقط، وإنما في شمال الجزيرة عند حدود الصحراء السورية في جبال

حوران، حيث هاجر قسم من سكان جنوب الجزيرة عندما ساءت اقتصاديات بلادهم، ويمكننا أن نعتبر هذا الإتقان المدهش في بناء البيوت من الحجر والرخام وأشكال الزخرفة التي عليها مقدمة لتطور ذوق العرب في الفن الذي جاءوا به فيما بعد، مع العلم بأنه ليس هناك ما يثبت وجود صلة تاريخية بين هذه المباني والفن الإسلامي الذي خلفها.

أما شمال الجزيرة العربية فقد كانت له منذ أقدم الأزمان تشكيلات حكومية، تضيق معلوماتنا عن عراقتها في التاريخ، ولا نعرف عن بعضها سوى أسمائها كدولة مصر وميلوخ[١] ومجان[٢]، ويظهر أن هذه الدول انقرضت قبل التاريخ المسيحي نتيجة التنافس والتناحر فيما بينها.

ولكن تجاه ذلك هناك دولتان أخريان بلغتا أوج العظمة وعاشتا كدولتين تجاريتين، وهما دولة الأنباط التي امتد سلطانها في الفترة الواقعة بين **٢٠٠** سنة قبل الميلاد وسنة **١٠٠**م إلى قلب الجزيرة العربية ثم دولة تدمر (بليمرا) التي خلفت دولة الأنباط وعاشت حتى سنة **٢٧١**م عندما قوض أركانها القيصر الروماني أورليان.

وإننا إذا سمعنا عن وجود دولة عربية خاصة، وعن ملوك بني لحجان أو نطلع على نص لامرئ القيس كتبه سنة **٣٢٨**م ويقول فيه بأنه لبس التاج وحكم أسدًا ونزارًا وملوكهما، فذلك لا يكفي للبرهنة على نضوج العرب

---

(١) الأرض ميلوخا: إذ وردت في نصوص حملات ملوك وادي الرافدين وتقع على الخليج العربي عمان اليوم.

(٢) إن الاسم الحقيقي هو معان وليس مجان كما ذكر المؤلف، فقد ورد الاسم كثيرًا في الكتابات السومرية والبابلية والآشورية، وذكرت هذه الدولة في حملات ملوك وادي الرافدين الأقدمين.

إلى حياة الحكم المنظم أو إنهم نظموا أنفسهم إلى درجة يمكننا أن ندعوها دولة، وإنما قلد العرب ألقاب ملوك دولتي فارس وبيزنطيا المتمدنتين وتشبهوا بأبهة الملك عندهم على أثر احتكاكهم بهاتين الدولتين المذكورتين الواقعتين في الشمال الشرقي والشمال الغربي من الجزيرة العربية، أما شكل هذه الدويلات العربية وكيفية تكوينها فإننا نجدهما في دولتين تشكلتا في شمال الجزيرة العربية قبيل بعثة محمد، وذلك بمثابة سد لكل من فارس وبيزنطيا.

أما الدولة التي أسست سدًا أمام الإمبراطورية الفارسية هي **دولة الحيرة**، وكانت تشمل بقعة طويلة ضيقة، ودعيت باسم **مقر الحكومة**.

وقد كانت مدينة الحيرة التي وصفت في الأشعار والقصص وصفًا خلابًا بلا شك مركزًا لمدنية معينة، ومن الصعب أن تكون مدنية عربية، وإنما مدنية مستمدة من المدنية الفارسية.

أما الدولة التي كانت مشيدة أمام الإمبراطورية البيزنطية فهي الدولة العربية النصرانية المسماة **بدولة الغساسنة**، والتي لم يكن لها مركز معلوم، وإنما كانت تتكون من معسكرات ثابتة اعتبرت مركز الحكومة، وكان رؤساؤهم يدعون لدى البيزنطيين بالأمراء، ويدعى لدى العرب بالملوك.

وبالرغم من أن هذه الدولة كانت فقيرة من ناحية التنظيم، فإنه لا ننكر أنه كان لها أثر مهم في تاريخ الجزيرة العربية، وكلتا الدولتين المتاخمتين للجزيرة العربية كانتا أجيرتين لدى الدولتين العظيمتين، وكانتا تشتركان في المعارك الكثيرة التي تقع بين الفرس والبيزنطيين وبهذه الواسطة كانتا تقفان على مواطن الضعف لدى الدولتين الكبيرتين أثر الانتصارات التي تقع بينهما

سجالاً، كما وقفوا على رقي المدن الفارسية ومدن بيزنطيا وثرائها أثر تأثيرًا بينًا في قلوب العرب للإغارة على هذه المدن والتنعم بغناها والتلذذ بحياتها، فكانت مهمة هاتين الدولتين العربيتين العمل على منع الجيوش العربية التي قد تتحرك يومًا ما من بطن الجزيرة العربية عبر الحدود لتظفر بخزائن مدن فارس وبيزنطيا.

ومع ذلك فقد قام العرب بهذه المعادلة قبل ظهور الإسلام، ففي المنتصف الثاني من القرن الخامس الميلادي استطاعت قبيلة كندة القاطنة في أواسط الجزيرة العربية الحصول على نوع من السيادة بسطت بموجبها سلطانها على قبائل أخرى وتمكنت من تكوين اتحاد من الدويلات العربية بشكل بدائي، بالطبع تحت قيادة عدد من الملوك العرب، ففي سنة **٤٨٠**م قام أحد الملوك المتضامنين واسمه **حجر** على رأس قوات قليلة العدد بهجوم اكتساحي على مدينة الحيرة، ولكن محاولته هذه باءت بالفشل، كنتيجة لذلك فقد توفق الملك الحارث بهجومه على فلسطين سنة **٤٩٦**م فاستولى عليها، إلا أن (أناستاسيوس) قيصر بيزنطيا بذل مبالغ طائلة لإخراج هؤلاء الدخلاء منها والتخلص منهم، وقد شجع هذا الانتصار الحارث فدفعه إلى الهجوم على الحيرة والاستيلاء عليها، ولكن سلطانه أخفق في تحقيق طلبه، وفي اللحظة التي يتخلى التوفيق عن الملك الحارث، تخلى عنه أيضًا حلفاؤه الكنديون فخانوه، فأعدم الملك الحارث من قبل أعدائه سنة **٥٢٩**م، ومنذ ذلك الحين أصبح الحلف الذي كونه الكنديون - بنو كندة - لا قيمة له وصار أحفاد الحارث يهتمون كثيرًا بأبهة الملكية.

ولم يكن قلب الجزيرة العربية في مستهل القرن السابع منظمًا حكوميًا

حتى ولا ظاهريًا، والأغرب من ذلك أن هذا القسم من البلاد العربية المترامي الأطراف والذي يبعد كثيرًا عن تأثير ثقافة الدول المجاورة يصبح مركزًا لانبعاث الدعوة الإسلامية الكبرى، وإنّ العوامل النهائية والمسببات الجوهرية لهذه الدعوة لم تكن دينية وإنما اقتصادية محضة، وقد تأكد من صحتها العقول في يومنا هذا.

أما تفاصيل هذه البواعث على انفراد فلا تزال مجهولة، وهناك فرضية سديدة معقولة تنص على أن الجفاف المتزايد الذي حلّ بالجزيرة العربية كان الباعث الأصلي إلى هجرة الشعوب العربية، والذي قد يكون السبب الجوهري الذي له علاقة بنشأة الإسلام فقاده إلى إحداث الانقلاب الخطير في تاريخ العالم.



تاريخ البعثات العلمية إلى جنوب الجزيرة العربية[1]

- ١ -

للعرب أن يفتخروا بمدنية زاهية قامت في جنوب بلاد العرب قبل الإسلام بمئات السنين، ولكن تاريخ هذه المدنية بقي أجيالاً عديدة مجهولاً، وكانت معلوماتنا عن معالمها لا تتعدى إشارات مقتضبة في أسفار التوراة القديمة، وبعض الأساطير الواردة في التواريخ الكلاسيكية (اللاتينية واليونانية)، عن غنى بلاد العرب السعيدة بالحجارة الثمينة والتوابل والبخور، وهنالك مصدر آخر هو الهالة الخرافية التي حاكها التقليد العربي المتأخر حول القصور والقلاع والآثار العظيمة في بلاد اليمن وحضرموت، والأخبار العربية لا يوثق بها: أولاً لأنها لا ترجع إلى أبعد من القرن الأول والثاني قبل الإسلام، يدلك على ذلك أن العرب لم تذكر مملكة **(قتبان) ولا مملكة (ريدان)**، ولا مملكة **(معين)**، إنما يذكرون **(حمير)** التي كانت آخر مملكة قامت في جنوب بلاد العرب قبل الإسلام، وثانيًا: لأن الأخبار العربية أشبه بقصص خرافية كانت تتداولها الناس من قبيل السمر والتسلية، ولكن مما لاشك فيه هو أن هذه الإشارات المقتضبة في التوراة، والمصادر اليونانية اللاتينية، والأساطير العربية، تدل على حقيقة واحدة وهي إن المدنية التي قامت هناك كانت رائعة

(١) الدكتور أنيس فريحه الأستاذ في ثانوية النجف، مجلة الاعتدال (تبحث في العلم والأدب والتاريخ والاجتماع)، العدد الثاني، السنة الخامسة، تشرين الثاني ١٩٣٩م، ص٤٣٣، ٤٤١.

وراقية، إلى حد أن أخبارها ظلّت أجيالاً مدار حديث الناس إلى أن جعل تقادم العهد منها خرافات وأساطير لا يستطيع العقل أن يقبلها.

ولكن لنا الأمل الوطيد أن لن يمضي وقت طويل قبل أن نتمكن من كتابة تاريخ جنوب الجزيرة كتابة مبنية على أوثق المصادر أعني النقوش التي جمعت في القرن الأخير، وفي هذه العجالة سنأتي على ذكر أهم البعثات التي أرسلت إلى جنوب الجزيرة لجمع النقوش وتصوير الآثار ووصف البلاد، ويجب أن نذكر هنا أن الحافز على بعث هذه البعوث كان يقين قسم كبير من المستشرقين أن قلب الجزيرة وجنوبها يكتم أسرار أصول جميع الحضارات السامية، وطبيعي أن يكون لدرس تاريخ التوراة في العالم الغربي المنزلة الأولى، وشعر أكثر من واحد من جماعة المستشرقين أن فهم تاريخ العرب قبل الإسلام، وفهم المدنية التي قامت في اليمن يساعد كثيرًا على فهم المدنية العبرية؛ لأن جميع الشعوب السامية إنما هي موجات خرجت من الجزيرة واستوطنت الهلال الخصيب، وبعد أن نأتي على ذكر هذه البعثات نذكر شيئًا عن لغة النقوش وعن تاريخ الممالك التي قامت هناك.

نيبور:

حوالي منتصف القرن الثامن عشر رحل طالب دانمركي واسمه (كريستيان فون هافن) إلى جامعة (كوتنغن) في ألمانيا لدراسة العلوم الشرقية على يد أستاذها ميخائيل، وكان هذا الأستاذ ميخائيل يعتقد أن بعثة توفد إلى جنوب بلاد العرب تعود على علم المشرقيات بكثير من الفائدة ولاسيما في علوم التوراة، فكتب إلى ممول دانمركي محب للأدب والتاريخ، واسمه الكونت برنشتوف يلفت نظره إلى هذه المسألة وطلب إليه مد يد المعونة

للقيام برحلة إلى بلاد العرب السعيدة، وقد لاقى هذا الاقتراح عند الكونت آذانًا صاغية فتقدم إلى ملك الدانمرك فريدريك الرابع راجيًا منه أن يرسل جماعة من العلماء إلى بلاد العرب وهو يقوم بنفقاتها متعاونًا مع صديق آخر ممول اسمه الكونت مولتكي، فأمر الملك بتشكيل بعثة من العلماء، وفي أواخر سنة **١٧٦٠**م تألفت البعثة الأولى من خمسة أشخاص هم **المستشرق كريستيان فون هافن، وأستاذ العلوم الطبيعية بطرس فورسكال، والملازم كارستن نيبور، والطبيب كارل كريمل، والمصور الرسام جورج وليم بورنفيند.** وفي الرابع من كانون الثاني سنة **١٧٦١**م أقلتهم بارجة حربية دانمركية إلى أزمير فالإستانة، ومن هناك إلى مصر ثم إلى اليمن حيث عزموا على البقاء هناك بضع سنين، ثم يعودون بطريق البصرة فحلب فأوربا.

وصلت البعثة سالمة اليمن حوالي **٢٥** كانون الأول من سنة **١٧٦٢**م، ولكن في شهر أيار من السنة التالية مرض المستشرق كريستيان فون هافن بحمى استوائية خبيثة توفي على أثرها، وذلك في مدينة (مخا) حيث لا يزال قبره هناك في المقبرة الألمانية. أما الطبيعي فورسكال فقد مات في (يريم) وهم في طريقهم إلى صنعاء. وقبل موته حاول أن يتسلق جبل (**صبر**) الذي يعتقد العرب على أن في قمته يجد الإنسان جميع نباتات الأرض، أما الباقون فقد وصلوا صنعاء حيث أحسن إمامها استقبالهم وضيافتهم وبعد مدة قصيرة شرعوا في سفرتهم عودًا إلى (مخا) ومن هناك إلى بومباي، وأثناء السفرة البحرية توفي بورنفيند (**١٧٦٣**م)، وأما كريمر[1] فقد مات في مدينة بومباي

(١) لعله كريمل المذكور مع أفراد البعثة سابقًا وقد يكون الخطأ هناك وليس هنا بمعنى أن اسمه كريمر.

من جراء داء عضال انتابه، أما نيبور فبعد أن فقد أربعة من رفاقه عزم على إتمام سفرته حسب الخطة التي رسموها قبلاً ووصل كوبنهاغن سنة **١٧٦٧**م.

أما قيمة هذه السفرة العلمية فقد كانت عظيمة؛ لأن وصف الرحلة الذي ضمنه نيبور في مجلدين (ظهر المجلد الثاني بعد وفاته) لا يزال إلى يومنا هذا أفضل مرجع يرجع إليه في دراسة اليمن، هذا عدا عن وصف الخرائب والنقوش التي شاهدها في بلاد الرافدين.

نعم إن بعثة نيبور لم تحمل إلى أوربا نقوشًا عربية جنوبية، ولكن ملاحظات نيبور في كتابه ووصفه للأماكن ورسمه للخرائط دال فيها على أماكن مجهولة في بلاد العرب السعيدة، جميع هذه بقيت موضع إعجاب الذين تتبعوا آثاره فيما بعد، وحسبما نعرف كان نيبور أول أوربي رأى نقوش حميرية، فإنه في ص**٩٣** من كتابه يقول: "إنه بينما كان مريضًا طريح الفراش من جراء حمى أتاه هولندي مقيم في اليمن - وكان هذا الهولندي قد أسلم - وأراه نقشًا مكتوبًا بأبجدية مجهولة تمام الجهل"، ثم يقول: " لاشك عندي إن في الأماكن الجبلية بين تعز وصنعاء وتهامة يقدر المرء أن يجد نقوشًا بالخط الحميري، وعندما أراني الهولندي هذا النقش كان همي إذ ذاك أن أعد نفسي لملاقاة ربي لا أن أجمع نقوشًا مجهولة، وهكذا ضيعت الفرصة السانحة لأنسخ النقوش التي ذكرها لي، وإذا كانت ذاكرتي لم تخني بعد أقول: إن حروف هذا الخط كناية عن خطوط عمودية مستقيمة (أي مسند)". انتهى كلامه. وبما أن عدد النقوش الحميرية التي لدينا اليوم يقرب الألفين، وبما أننا نعرف الخط الحميري فيحق لنا أن نقول: إن نيبور أول أوربي رأى النقوش الحميرية ووصفها لنا.

ملاحظة: زار اليمن قبل نيبور أوربيون ولكنهم لم يذكروا لنا كثيرًا عن النقوش أو الآثار، ففي سنة **١٥٠٨**م نزل على شاطئ عدن نوتي إيطالي اسمه **لودو فيكو دي يرتما** واعتقل وسير به إلى السلطان وحبس زمنًا ثم أخلي سبيله، وعند رجوعه كتب وصفًا لرحلته، ولكنها كانت تدور حول اختباراته الشخصية، وأيضًا سنة **١٧١٢**م رست في البحر مقابل (مخا) باخرتان فرنسيتان حربيتان، وكان حاكم اليمن وقتذاك شيخًا هرمًا مصابًا بألم في أذنه، وعندما سمع بنزول أوربيين في بلاده أرسل إليهم أن يوفدوا إليه طبيبًا، فاغتنم القبطان هذه الفرصة وسير إليه رهطًا من رجاله يصحبهم طبيب، وبقوا في ضيافة السلطان أيامًا وعادوا ووصفوا لنا البلاد وصفًا اجتماعيًا فقط.

الدكتور أولرخ ستزن:

هو أول من عثر على النقوش التي ذكرها نيبور، فإنه أثناء صيف **١٨١٠**م سار من مدينة الحديدة قاصدًا صنعاء وكان الجو السياسي مكفهرًا جدًا، ومن صنعاء سار جنوبًا، وفي طريقه أتى على خرائب نسخ عنها خمسة نقوش حميرية غير جلية، وذلك بالقرب من ظفار عاصمة حمير القديمة، فأخذها ورجع إلى (مخا) سالمًا مارًا بعدن، وكان قد جمع نماذج من حشرات وأفاع ونباتات محفوظة في الكحول فحسبه الناس ساحرًا مشعوذًا، وعندما حاول ثانية الرجوع إلى داخلية البلاد للتفتيش عن النقوش انقطع خبره ولم يعثر له على أثر. وقد سرت إشاعة أن العرب قتلته بالقرب من مدينة تعز، ولكن إشاعة أخرى تقول إنه وصل صنعاء وهناك سمم له

فمات. على كل وصل إلى أوربا بعض أوراقه التي دون عليها ملاحظاته مع النقوش الخمسة التي نسخها ونشرت في المجلة الألمانية الآسيوية.

البعثة الإنكليزية لمسح شواطئ الجزيرة العربية:

في سنة **١٨٣٠**م أرسلت إنكلترا بعض بوارجها لقمع حركة القرصان ولمسح الشواطئ. ولا ندري أكان السبب الحقيقي عبث القرصان بالأمن أم رغبة الإنكليز في معرفة الشواطئ تمامًا. على كل توجه اثنان من أعضاء الحملة هذه **هلتن وكروتندن** إلى صنعاء، أما الأول فمات على الطريق، ووفق الثاني إلى نسخ خمسة نقوش من صنعاء نفسها نشرت مع وصف السفرة.

ولكن هذه البعثة درست البلاد الواقعة بين اليمن وحضرموت درسًا أدق، وفي أثناء مسحهم هذه البقعة اكتشف القبطان **ولستد** سنة **١٨٣٤**م (حصن الغراب) على الشاطئ شرقي بالحاف (لم أتمكن من التحقق من صحة هذا الاسم ولكن هكذا وردت كتابته باللغة الألمانية) وعلى الصخور السوداء التي قامت عليها القلعة وجد ولستد نقوشًا محفورة في الصخر أهمها وأعرفها نقش طويل مؤرخ سنة **٦٤٠**م يعرف بنقش **حصن الغراب**. وفي السنة التالية لهذا الاكتشاف ترك ولستد بارجته في **خليج قبة العين** وسار مع رهط من رجاله نحو وادي **ميفعة** شمالي الخليج المذكور، وبعد مسير يومين وصلوا إلى بقعة خصيبة جدًا فيها آثار حصون أو قلاع أو مدينة فخمة مبنية من قطع حجارة ضخمة، أما الاسم الحالي لتلك البقعة فهو (نقب الحجر)، ولكن الاسم القديم يجب أن يكون (ميفعة)؛ لأن في أحد النقوش

التي نسختها البعثة وجد هذا الاسم (ميفعة)، والبدو تسمي ذلك الوادي وادي ميفعة. (يذكر هذا الاسم ياقوت).

إن نتائج هذه السفرة أتت دليلاً آخر على أن مدنية زاهية قامت في البقاع الخصيبة التي تمتد نحو داخلية البلاد رغم أن الصحاري الحالية الجافة تنكر علينا إثبات نظرية كهذه، ويرجح أن هذه القلاع والحصون التي اكتشفت هناك كانت مسالح لحماية التجارة بين الداخلية وبين ميناء (كين) المشهور الوارد ذكره كثيرًا في المصادر الكلاسيكية، وهذا الميناء الذي لا أثر له الآن يجب أن يكون موقعه بالقرب من حصن الغراب.

في سنتي **١٨٣٦**م و**١٨٣٧**م نسمع عن مبشر اسمه **ولف** وعن آخر، عالم نباتي اسمه **بوتا** زارا اليمن، ولكن نتائج سفرتهما لم تزد في معلوماتنا كثيرًا ولم تأت بنقوش جديدة.

ادولف فون فريدة:

في سنة **١٨٤٣**م ترك هذا السائح الألماني ميناء المكلا، وسار شمالاً مسيرة سبعة أيام، وأخيرًا أتى إلى واد شبهه بالفردوس في خصبه وجماله، وهذا الوادي يسمى **وادي دوعن،** وقد مر على جملة بقاع غاية في الخصب في داخلية حضرموت، وأخيرًا أتى إلى شرقي سهل ميفعة حيث وجد **وادي الابنا** وهناك عثر على نقش حضرموتي نشر **بنقش الابنا.**

الصيدلي توماس يوسف ارنو:

رافق هذا الفرنسي وفدًا تركيًا موفدًا إلى صنعاء كطبيب، وعندما وصلوا صنعاء ترك ارنو رفاقه وسار وحيدًا شرقًا، وفي أيامه كان لا يزال هناك أثر

ضئيل لتجارة القوافل بين مأرب وصنعاء. ولكن قديمًا كانت مأرب من أخصب البقاع ونظام الري فيها عجيب، وكانت تجارتها واسعة رائجة. التحق ارنو بقافلة صغيرة دفع لأميرها بعض المال لحمايته أو لحمله على إبلهم، والمسافة بين صنعاء ومأرب ستة أيام. ومأرب الحالية كناية عن بلدة صغيرة كل ما فيها يدل على فقر وتأخر، ولكن آثار السد (سد مأرب) الشهير لا تزال شاهدًا على عظمة هذه المدينة العظيمة التي لعبت دورها في تاريخ جنوب الجزيرة عندما كانت عاصمة سبأ. وقد احتفى به أمير مأرب، وأفسح له المجال لكي يتفقد آثار المدينة وسمح له أن يرسم على الورق خطط المدينة القديمة التي يظهر إنها كانت على شكل دائرة، ولا يزال هناك آثار هيكل قديم يسميها البدو (حرم بلقيس)، ولكن النقوش تدل على إن هذه الآثار كانت معبدًا فخمًا لإله **سبأ المقاه أو الموقة** (ولا ذكر لهذه الآلهة في التقليد العربي، ومن المؤسف إن الخط الحميري أي المسند تنقصه الحركات ولا نستطيع أن نتثبت من صحة اللفظ تمامًا قد يكون المقاه أو الموقة).

ولم يكن أمام **ارنو** سوى يومين؛ لأنه كان عليه أن يعود بصحبة قافلة راجعة إلى صنعاء حاملة الملح، ويقول لنا في وصف سفرته: إنه كان يستطيع أن ينسخ نقوشًا كثيرة لولا مضايقة الناس له وفضولهم السمج. وفي طريق عودته نزلت القافلة بعد مسير يوم في **خرائب صرواح القديمة** المعروفة الآن بالخربة (لأنها خرائب)، وفي نصف الليل قام ارنو مع خادمه وشرع في نسخ نقوش عديدة على ضوء سراج ويقول لنا :إنه نسي نفسه برهة، ولكن خادمه ظل يذكره بوجوب الالتحاق بالركب، وهكذا ترك عمله مرغمًا

وسار في طلب القافلة التي كانت قد سبقته بمسافة كبيرة.

وعلى طريقه من صنعاء مرض وأصيب بمرض في عيونه، أما النقوش ووصف سفرته فقد وصلت إلى **القنصل الفرنسي فرزنل** في جدة، وهذا القنصل كان من الثقات في درس لهجات عرب الجنوب الحالية، وقد نشر هذه الذخائر في المجلة الآسيوية الفرنسية.

ارنست اوسيندر:

هذا الرجل مستشرق ألماني ساهم في تقدم معارفنا عن جنوب الجزيرة بترجمته نحوًا من **٤٠** نقشًا وصلت أوربا عن طريقين: أولاً عن طريق كولونل إنكليزي يدعى **توكلن** الذي اشترى من بعض البدو مجموعة نقوش سبئية مكتوبة على ألواح البرونز في حالة تامة. والطريق الثاني المعرض البريطاني الذي حصل على بعض النقوش والحجارة من مأرب.

وكان معظم هذه النقوش من مزار مقدس قديم في مكان يدعى **(عمران)** في الجهة الشمالية الغربية من صنعاء، ومحتوياتها أدعية شكر، وصلوات للاله المقاه (أو الموقة)، يستثنى نقش واحد (رقم **٢٩** من مجموعة اوسيندر) فإنه من شبوة القديمة في حضرموت.

يوسف هلفي:

في سنة **١٨٦٩**م عزم المجمع الفرنسي الشهير المعروف بالأكاديمية للنقوش القديمة والآداب أن يجمع جميع النقوش السامية القديمة في مجموعة؛ خدمة للعلم وتيسيرًا لتناولها عند الحاجة، فوقع اختيارهم على مستشرق يدعى **يوسف هلفي** للذهاب إلى جنوب الجزيرة لجمع النقوش

السبئية والحميرية، وعزم صاحبنا هذا على التزي بزي يهودي عربي؛ لأنه كان يعلم أن العرب تحتقر اليهود إلى درجة أن إيذاء أحدهم أو الاعتداء عليه يعد جبنًا من جانب المعتدي.

سافر هلفي سنة ١٨٧٠م قاصدًا صنعاء واختار أن يتبع أصعب بقع الجزيرة وعورة ومسلكًا، وبعد أن وصل صنعاء قام بسفرة إلى نجران في غير الطريق التي سلكها القائد الروماني (اليوس كالوس) ثم عاد إلى صنعاء بعد أن مر في مأرب وصرواح. أما العذاب والشقاء الذي لاقاه فلا تسل عنه ولاسيما إذا تذكرنا أن البدو ينظرون إلى هذه الخرائب نظرة مقرونة بالوجل والخشوع - وهذا يهودي يحاول أن ينسخ نقوشها ويدنس قبورها وينهك حرمتها.

ولكن الحظ ساعده فإنه رجع إلى فرنسا سالمًا حاملاً معه ٦٨٦ نقشًا نسخت من ٣٧ مكانًا مختلفًا، وقد نشر بعضها وعلق عليها ونشر أيضًا تقريرًا مسهبًا عن سفرته. إن قيمة هذه السفرة لا تنحصر فقط في زيادة عدد النقوش، ولكن هلفي اكتشف في البقاع الخصبة المحيطة بنهر الخارد في الجوف الجنوبي الواقع شمالي صنعاء آثار تدل على درجة سامية من الخصابة والعمران، ووجد بقايا بنايات ضخمة ومدن خربة مبنية في كثير من الأحيان على هضبات منيعة. وقد دلت النقوش على أنها من بقايا مملكة معين أو الدولة المعينية التي لم يبق لها ذكر حتى في أقدم الأساطير العربية. ولغة معين كما تتراءى لنا خلال هذه النقوش تختلف عن لغة سبأ وحمير.

وعثر هلفي على كثير من بقايا معابد وهياكل، والنقوش التي عليها تدل دلالة واضحة على رقي الحياة الدينية وسمو العاطفة الظاهرة في الهدايا

الموقفة للآلهة، فإنه في بقايا معبد ضخم في بلدة تعرف الآن باسم (**براقش**) نسخ أكثر من ١٥٠ نقشًا، وتبين من النقوش أن اسم المدينة القديم هو **يطيل**، ونسخ كثيرًا من النقوش في بلدة تعرف الآن باسم **السودا**، أما أعظم الآثار فقد وجدها في خرائب عاصمة مملكة معين واسمها كما يظهر من النقوش (قرنو) أما اسمها الحالي فهو معين، وهذا الاسم من بقايا ذكرى معين القديمة.

في هذه الفترة حدث انقلاب سياسي إذ ألحقت اليمن بالدولة العثمانية ولكن نفوذ تركيا لم يتعد إقامة حامية في صنعاء، وبقيت الأحوال السياسية خارج صنعاء كما كانت عليه سابقًا، وعليه لم يسفر الاحتلال التركي عن تحسن في حالة الأمن الضروري للتجوال والتفتيش عن آثار الباقين. وبعد الانقلاب هذا قام عدد من المستشرقين بسفرات إلى جنوبي الجزيرة، ولكنها لم تأت بعظيم فائدة خلال البحوث التي قام بها المستشرق (**ملتزن**) في اللهجات العربية الجنوبية التي أبقت لنا أمثلة حية على لهجات حضرموت القديمة.

ولكن يجب أن نذكر أن بعض الموظفين الأتراك جمعوا وابتلعوا قطع حجارة كثيرة عليها نقوش وأرسلت جميعها إلى إستانبول حيث أودعت دار الآثار.



تاريخ البعثات العلمية إلى جنوب الجزيرة العربية[1]

- ٢ -

سيغفريد لانغر:

في سنة **١٨٨٢**م انتدبت جماعة المستشرقين في فينا أحد أفرادها **سيغفريد لانغر** ليذهب إلى اليمن لجمع النقوش العربية، وبعد أن أقام مدة وجيزة بين عرب سوريا لإتقان التكلم بالعربية أبحر إلى جدة ومن هناك سار بمعية الجيوش التركية إلى الحديدة، وفي طريقه إلى صنعاء وسط بلاد حمير القديمة عثر بالقرب من ظران على نقش حميري طويل استنسخه، ويعرف برقم واحد من مجموعته، ورأى النقوش والآثار التي وصفها نيبور، ثم جاء صنعاء وتمكن من نسخ عدة نقوش، وعندما حاول التوغل في داخلية البلاد منعه الأتراك وأرسلوه إلى الحديدة، ولكن عزمه لم يثبط بل غادر الحديدة إلى عدن حيث حصل على بعض النقوش من جهات مختلفة، ثم إنه تزيا بزي بدوي وعزم على الذهاب إلى داخل البلاد، ولكن لم يطل الوقت على اكتشاف حقيقة أمره، وعندما كان على مسيرة يوم أو أكثر من عدن قتل رميًا بالرصاص وهو يسبح في غدير، ولكن نقوشه وصلت أوربا سالمة ونشرت بعد موته.

أدور غلازر:

في سنة ١٨٨٠م انتدب المجمع الباريسي للمستشرقين **أدور غلازر**

---

(١) الدكتور أنيس فريحه، مجلة الاعتدال (النجف الأشرف - العراق)، العدد التاسع، السنة الخامسة، مارت (مارس) ١٩٤٠م، ص٤٩٥، ٤٩٩.

المستشرق والفلكي في مرصد فينا، فذهب أولاً إلى مصر وتونس حيث أتقن العربية، واطلع على عادات السكان وآدابهم.

وفي نفس السنة التي قضى فيها لانغر ضحية العلم وصل غلازر مدينة صنعاء، ولكن الأتراك منعوه من التجول في البلاد لخوفهم أن يحل به ما حل بسلفه لانغر. ولكن استمال بعض الموظفين الكبار ونال عطفهم فأذنوا له بالسفر، وفي السنتين **١٨٨٢-١٨٨٤**م قام غلازر بثلاث سفرات في شمال اليمن جاعلاً مقره العام صنعاء، أما في السفرة الأولى فإنه التحق بحملة عسكرية تركية أنيط بها احتلال مدينة سودا التي كانت تظهر العداء للحكومة. وكانت الحملة تتألف من أربع شرازم عددها **١٣٠٠** نفر مجهزين ببعض المدافع، وكانت هذه الحملة تجوب جميع أنحاء البلاد الشمالية الغربية شاهرة الحرب على القبائل بصورة دائمة، وبعد أن تعرف إلى البلاد وجال فيها مع أفراد الحملة قام بسفرة في بلاد **همدان وشبام كوكبان وعمران**، وتفقد آثار تلك الأقطار ونسخ بعض الكتابات، ثم إنه تمكن أخيرًا من زيارة بلاد **حاشد** المحفوفة بالأخطار وذلك أن القبيلتين الكبيرتين **حاشد وبكيل مع ماهما عليه من القرابة كانت في حالة حرب عوان، وقد قبلت القبيلتان أن يحتكما إلى الوالي التركي ورضيتا به حكمًا، فاغتنم غلازر هذه الفرصة النادرة، وسار إلى حاشد في شهر يناير سنة ١٨٨٤م بصحبة بعض المشايخ الذين يقول لنا في مذكراته: إنهم حاولوا اغتياله، ولكنه نجا من مؤامرتهم، وعند نهاية هذه السفرة أرسل جميع ما حصل عليه إلى باريس إلى المجمع الذي أوفده، وكان جملة ما أرسله أربع أحجار عليها نقوش سبئية وما يقرب من ٢٨٠ نسخة لنقوش مختلفة، وقد قام بنشر بعضها العالم درنبوغ في**

مجلد خاص، أما دروسه وملاحظاته فيما يتعلق بالمناخ والأنواء والفلك والطوبغرافيا فلم تنشر بعد.

ثم إنه قام بسفرة ثانية من أوربا مستقلاً، وكان ينوي أن يزور الخرائب والآثار التي ذكرها نيبور بالقرب من ضمر وتريم، فزار العاصمة الحميرية القديمة **ظفار** ثم **تريم**، ومن هناك سار في جهة شمالية شرقية نحو **رداع**. **أما النتيجة فكانت أنه جمع من البلاد التي تعرف بالجوف ٣٧٨ نقشًا مع بعض الحجارة التي كانت هذه النقوش مكتوبة عليها ومعظمها نقوش معينية، وهي الآن بحوزة المتحف البريطاني الذي يباهي بها بأنها أكبر مجموعة للنقوش المعينية.**

ثم إنه غادر أوربا للمرة الثالثة وذلك سنة **١٨٨٧**م، وكانت غايته هذه المرة الوصول إلى مأرب عاصمة سبأ القديمة، ولكي يتمكن من القيام بهذه السفرة المحفوفة بالأخطار تزيا بزي فقيه عربي، وكان يصحبه في سفرته هذه بعض أصحابه من البدو بينهم شريف من مأرب نفسها، وقد أجاد في تمثيل هذا الدور أحسن إجادة، وتمكن من الوصول إلى مأرب سالمًا بعد كثير من المعاناة، وأقام في مأرب ستة أسابيع رسم في أثنائها هندسة القناة القديمة وسدها الشهير، سد مأرب، الذي كان السبب الرئيسي في خصب البلاد وازدهارها.

ثم إنه نسخ النقش المكتوب على السد، ووصف لنا الهيكل العظمي للقمر ورسمه ويبلغ محيط دائرته نحوًا من **٣٠٠** خطوة، وهو هيكل ضخم تدل آثاره الصامتة على حضارة قديمة طمستها الأيام والرمال واستنسخ بنفسه

نحوًا من **٤٠٠** نقش، وعاد حاملاً بعض الحجارة والتماثيل، وهي الآن في متحف برلين وقد نشر بعضها والبعض الآخر رهن الدرس.

وبعد أن قام غلازر في أوربا زمنًا شاغلاً نفسه بدرس المجموعة التي جمعها في سفراته الأخيرة غادر أوربا سنة **١٨٩٢**م قاصدًا جنوب الجزيرة، وكانت جامعة براغ هي التي تمده بالمال. وكان التجوال في داخل البلاد أمرًا مستحيلاً؛ ذلك لأن القبائل اتحدت جميعها في ثورة ضد الأتراك وكانت صنعاء في حالة حصار، ولذلك لم يستطيع مغادرة صنعاء.

ولكنه اهتدى إلى طريقة يستطيع معها الحصول على نقوش، وذلك بأنه علم البدو أن يضعوا قطعة من ورق النشاف على الصخر وبللها بالماء وربتها ربتًا خفيفًا وبعد دقائق يجف الورق وتنطبع عليه صورة النقش المحفور في الصخر، وقد أسفرت هذه الطريقة عن نتائج حسنة فإنه حصل على نقوش عديدة من جملها نقش صرواح المشهور فإن كلماته تربو على الألف ويعد أقدم نقش في تاريخ ملك سبأ، وجمع نحوًا من مئة نسخة تبين فيما بعد أنها ترجع إلى **مملكة قتبان التي لا تذكرها لنا المصادر الإسلامية.**

إن مؤرخي اليونان يذكرون لنا أربع ممالك عظيمة الشأن قامت في جنوب الجزيرة وهي **مملكة معين وحضرموت وقتبان. وكانت النقوش التي جمعت إلى ذلك الحين تثبت لنا صحة الخبر عن وجود الممالك الثلاث الأولى، ولكن لم يثبت لنا وجود مملكة قتبان إلا بعد أن حصل غلازر على مجموعته هذه من أيدي البدو، وهذه النقوش المئة تصور لنا صورة، ولو غير جلية، لمملكة قديمة لم يعرف حتى اسمها في المصادر الإسلامية المتأخرة، والفضل**

في هذا كله يرجع إلى هذا الرحالة الخالد الذكر.

بعثة ميلر ولاندنبرغ:

بينما كان غلازر في مونيخ منصرفًا إلى درس مجموعته من النقوش والكتابة أوفد مجمع فينا سنة **١٨٩٨**م كلاً من **الأستاذ ميلر، والكونت لدنبرغ** إلى جنوب الجزيرة لجمع الآثار والنقوش، وكان المجمع قد استأجر لهما باخرة اسوجية تكون تحت إمرتهما أثناء السفرة.

بدأت المصاعب في ميناء عدن الذي منه عزمت البعثة على التوغل في شرقي البلاد، وكان سبب المصاعب هذه غفلة المجمع عن أن يستحصل على إذن من الحكومة الإنكليزية التي كانت ترفض السماح لمن يريد التوغل داخل منطقة نفوذهم.

وهكذا سارت السفينة شرقًا إلى ساحل حضرموت في جهة بلحاف وعزموا على الذهاب إلى الخرائب التي على مقربة من **شبوة** بطريق **عزان وحبان،** ولكن خوفهم من العربان جعلهم يرجعون من عزان بعد أن استنسخوا نقشًا من خرائب حصن نقب الحجر، ونقشًا آخر من لبنة، وآخر من حصن الغراب. وفي شهر كانون الثاني سنة **١٨٨٩**م أبحرت البعثة إلى جزيرة سقطرة كي تقف على اللهجة المحكمة هناك ظنًا منهم أن الجزيرة هذه ولاشك قد حافظت على تراكيب ومفردات قد ترمي بعض النور على لغة الكتابات الموجودة في جنوب الجزيرة العربية، والمقالات التي نشروها بعد هذه السفرة في اللغة الصومالية والمهرية والسقطرية والشعرية قيمة للغاية.

جاءت الحرب الكبرى فأبطلت الأعمال الأركيولوجية في الجزيرة كما

أنها قضت على كثير من المشاريع التي كانت تعمل لتوسيع نطاق الأبحاث في تاريخ الحضارات، ولكن في هذه الفترة انصرف عدد كبير من المستشرقين لدراسة جنوب الجزيرة درسًا دقيقًا، وبعد الحرب ظهر في المجلات مقالات عديدة تبحث في مدنية الجزيرة وحضارتها قبل الإسلام، وكذلك ظهرت كتب عديدة سيما في الألمانية في عاديات جنوب الجزيرة وأديانها وآثارها وتاريخ الممالك التي قامت هناك، ناهيك عن المقالات اللغوية وبعض الكراسات التي تبحث في صرف ونحو هذه اللغات.

وقد يسأل بعض الناس ما الفائدة من هذه البعثات التي كلفت بعض الأشخاص حياتهم، وأنفقت الجمعيات، والمجامع العلمية مبالغ طائلة في سبيل الحصول على بعض الحجارة والكتابات الطلسمية؟.

إن عاديات قفار اليمن الرملية تشبه عاديات وادي الفرات ودجلة وعاديات وادي النيل، بمعنى إنها رمز عز مضى. هذه البقايا القليلة ترينا بجلاء أن اليمن وحضرموت كانتا مهد حضارة راقية، حضارة وصلت إليها تلك الممالك عن طريق الجد والعمل، ثم بعد أن تلاشت مراكز التجارة، وتغيرت الطرق البرية والبحرية، أخذت تلك الحضارة بالتأخر، وأخذ قبس المدنية يشع في بقاع أخرى من بقاع الأرض وحلّ فوق تلك الربوع ظلام دامس.



من أرجاء العالم العربي[1]

اليمن:

جاء في الصحف الأمريكية أن المستكشف الأمريكي **ويندل فيليس** قد غادر أمريكا إلى اليمن للكشف عن مدينة مأرب التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة، ولم تذكر تلك الصحف عما إذا كان المستر فيليس قد أوفد للتنقيب عن النفط إلى جانب قيامه بالبحث عن مأرب**!**



(١) مجلة البعث العربي (بغداد)، العدد **٣**، السنة الأولى، **١٥** كانون الأول، **١٩٥٢**م.



التطورات العامة في اليمن

حالة اليمن اليوم[1]

قال مكاتب «الأهرام» - الصحيفة المصرية الشهيرة - في عدن:

عدت من رحلة إلى صنعاء وقضيت في عاصمة اليمن نحو أسبوعين وقفت من خلالهما على التطور الجديد في ذلك القطر بعدما انجلى الترك عنه، ولم تعد إدارته مقيدة بشيء من طراز الإدارة التركية، بل زالت جميع الروابط التي كانت تربطه بالأتراك وسياستهم، فأخذ يتجه اتجاهًا جديدًا ويتحول رويدًا رويدًا إلى اكتساب كيان خاص مستقل.

ولما كان عظمة الإمام **يحيى حميد الدين** هو الحاكم المستقل المطاع في اليمن، فإن الحركة الجديدة البادية في تطور الحالة في اليمن هي من صنعه.

وقد ظلت المفاوضات دائرة بين الإمام يحيى والسر كلبرت كلايتون طول مدة وجود هذا في اليمن حول عقد المعاهدة بينه وبين الإنكليز، فاتفقا على نقط لكن الاختلاف الشديد كان على النواحي التسع التي يطالب الإمام بإعادتها إلى اليمن، وهي الآن بحماية الإنكليز، وهو يطلب أن يعترف الإنكليز بسيادته على عدن، فلم يسلم السير كلبرت كلايتون بهذه المطالب، وعاد إلى لندن يحمل إلى حكومته القواعد التي تم الاتفاق عليها، ومطالب الإمام يحيى في المسائل المختلف فيها.

(١) مجلة لغة العرب، الجزء الثاني، السنة الرابعة، آب ١٩٢٦م، ص١١٦، ١١٧.

والإمام يهتم بتعزيز جيشه وتدريبه على فنون الحرب الحديثة فالمعروف عن اليمني أنه جندي بطبيعته، وفي صنعاء الآن مدرسة حربية لتعليم الفنون العسكرية المختلفة، وتدريب الجنود المجندين في الجيش النظامي تدريبًا عصريًا.

قد أسس في هذه الآونة في صنعاء معمل لصنع الخراطيش وأصبح كثير من أنواع الأسلحة، وابتاع الإمام بعض الطيارات من إيطالية، وقد أوصى بسفن مسلحة لخفر السواحل.

واليوم يرتقي اليمن رقيًا مشهودًا، ففيه الآن مدارس عديدة ويزداد عددها عامًا فعامًا، ومن جملة المدارس كلية داخلية لتعليم العلوم الدينية والآداب العربية، ومدرسة ثانوية، ويقبل أهالي اليمن إقبالاً عظيمًا على التعليم، وازدادت صحف مصر وكتبها رواجًا بينهم.

واليمن قطر زراعي يعيش أهله من الزراعة، ويساعدهم على ذلك استتباب الأمن في البلاد، وعدم وجود ضرائب تزيد على العشر الشرعي.

أما التجارة فقد تحسنت تحسنًا كبيرًا في اليمن بعد ضم الحديدة إليه واتصاله بالعالم الخارجي من مينائه الطبيعي.



اليمن وتقدمها[1]

جلبت حكومة الإمام يحيى في الأيام الأخيرة بعض ضباط الألمان إلى صنعاء، واستخدمت بعضهم في مصانع الأسلحة والمؤن الحربية، وبعضهم في قسم الطيران، ونالوا استحسان الإمام وأركان الدولة؛ لما ظهروا من النشاط والمهارة في تحسين الأشغال الموكلة إلى عنايتهم، ورفعت الحكومة رواتبهم اعترافًا باجتهادهم، وتقديرًا لعلومهم، وتشجيعًا لهم على المثابرة في العمل، وقد ساء بعض المستخدمين الإيطاليين اعتناء الحكومة بالألمان فثارت في صدورهم عوامل الحسد والغيرة فاندفع اثنان منهم إلى تخريب آلات إحدى الطائرات المنوط أمرها بطيار ألماني، وانكشف سر المسألة فصدر أمر من سيادة الإمام بقطع جميع علاقات الإيطاليين وإخراجهم من البلاد فلم يبق منهم أحد.

وكثير من طلبة الدراسة الحربية قد أتقنوا من الطيارات سواء في سوقها، أو في رصد الطريق التي تسير فيها.



(١) مجلة لغة العرب، مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية، الجزء الأول من السنة السادسة، كانون الثاني ١٩٢٨م، ص٣٦.

حركة الإصلاح والتجديد في اليمن[1]

المشاكل السياسية تفوق حركة الإصلاح - النهضة العسكرية في اليمن الجمود الاجتماعي - التأخر العلمي.

هدأت عاصفة الحرب العامة، وجلا آخر جندي تركي عن اليمن السعيد تاركًا البلاد لصاحبها الشرعي جلالة الإمام يحيى حميد الدين فورثها بجمودها وتفسخها، ومشاكلها السياسية المعقدة التي كان يتطلب حلها جهودا جبارة، فالحديدة ميناء اليمن وثغره كانت بيد الإنكليز الذين أخرجوا الأتراك منها وسلموها لحليفهم السيد الإدريسي أمير عسير وخصم الإمام.

وكانت عدن ولحج والنواحي التسع المحمية التي يعتبرها الإمام كما يعتبرها التاريخ والحدود الطبيعية لليمن جزءًا لا يتجزأ من مملكته ملحقة بالتاج البريطاني وتحت حمايته، كما أن الحكم الإدريسي كان قد بسط جناحيه على مقاطعة عسير المتممة للوحدة اليمانية التي نصب الإمام يحيى نفسه لتحقيقها، وجعلها مطمحه السياسي الذي لا ينفك يواصل جهوده ليراه يومًا ما حقيقة لا ريب فيها.

كان على جلالة الإمام وقد أصبح سيد البلاد وحاكمها حل هذه المشاكل السياسية، وهذا ما شغله عن بعث اليمن اجتماعيًا وعلميًا

---

(١) حسين جميل، مجلة الشباب، العدد الثالث، السنة الأولى، نيسان ١٩٢٩م، ص٨٩، ٩٣.

واقتصاديًا كما أنها شلت حركة الإحياء والتجديد في العربية السعيدة.

إن هذه المشاكل لم تستغرق عهدًا يسيرًا في تاريخ اليمن، فما زال النضال قائمًا بين الإمام والملك ابن سعود الذي بسط حمايته على بلد الإدريسي في معاهدة مكة عام ١٩٢٥م.

غير أن هذه العوامل لم تطعن حركة الإصلاح والتجديد في مملكة المتوكل على الله فقط بل أكسبت نهضة اليمن صبغة عسكرية حربية؛ لأن الإمام وقد مل الوعود والتسويف في حل مشاكله، عمد لاسترجاع حقوقه إلى نسف سلاح خصومه، فكان ذلك الجيش النظامي ويبلغ عدد أفراده نحوًا من عشرة آلاف جندي كاملاً بمعداته وأجزائه ومدفعيته وذخيرته وطياراته نصير الإمام في نضاله العنيف مع خصومه السياسيين، غير أن قوة اليمن السياسية والحربية لا تستند على هذا الجيش النظامي، فبوسع جلالة الإمام أن يجند ثلاثمائة ألف من المجاهدين هم على أهبة الاستعداد للطوارئ في كل حين.

وما الذي يعوز الإمام ليجند مثل هذا العدد الكبير؟

هل المال؟ وعند الإمام الشيء الكثير؟ أم طاعة الرعية؟ وهو عندهم خلفية الله وظله الممدود على عباده، أم الذخيرة والسلاح؟ وهنالك على أطلال قصر غمدان القديم يضم في أحد أركانه معملي الأسلحة والخراطيش، وهو ينجز في اليوم الواحد أربعة آلاف خرطوشة، يوجد مقابلها تحت تصرف الجيش أربعمائة بندقية، ومائتا مدفع منها الجبلية والرشاشة حسب إحصاء سنة ١٩٢٢م.

وفي تاريخ اليمن لمؤلفه عبدالواسع بن يحيى الواسعي اليماني المطبوع عام ١٣٤٦هـ ص٣١٨، أن معمل الأسلحة استطاع أن ينجز عمل مدفعين كبيرين من النحاس كما أن الأسلحة والذخيرة أصبحت أكثر بكثير مما روى الريحاني.

ولم يفت الإمام يحيى فائدة تدريب جيشه وتنظيمه على الأساليب الحديثة فاستعان على ذلك بالمدرسة الحربية التي أنشأها بصنعاء عندما تسنم عرش البلاد، وهي الآن تمد الجيش كل عام بعدد غير قليل من الضباط المثقفين، ولا ننكر جهود هؤلاء في إصلاح وتنظيم الجيش اليماني، وخطة الإمام في تنظيم جيشه لا تقف عند ذلك فقد أرسل البعثات العلمية من شباب اليمن إلى أوربا لدراسة الفنون الحربية الحديثة في أرقى معاهدها، وأن اثنين من أعضاء بعثة الطيران عادا من إيطالية بعد أن أكملا مدة الدراسة والتمرين وسيستخدمان في مصلحة الطيران اليماني، وعند الإمام من هذه الطيارات أربع اشتراها قبل عامين من المعامل الألمانية.

إن هذه المظاهر الحربية تدلنا بوضوح على مبلغ عناية المتوكل على الله بجيشه، وتظهر لنا بأجلى المظاهر وأوضحها مبلغ تغلغل الروح العسكرية في اليمن.

غير أن اليمن رغم هذه النهضة الحربية لا يزال تكتنفه ظلمات الجمود والركود الاجتماعي والسياسي، وليس إبطاء من هذا النوع من التطور في البلاد الإمام يحيى التطور السياسي والاجتماعي لا تكاد تلمس أثرًا من آثاره بين مختلف الطبقات التي تكون المجتمع اليماني، الأمراء، والخاصة، والأشراف، والعامة سواء في ذلك، تتعاقب التطورات والانقلابات

بمظاهرها المختلفة في بلاد الناس، ولكن أثرًا لتلك الانقلابات تجده في غير اليمن، فهو مسرف في جموده على التقاليد الموروثة، مسرف في ركوده، مسرف في محافظته على القديم محافظة غريبة، حتى لتكاد الحياة الاجتماعية في تلك البلاد تصطبغ بصبغة الصفات الطبيعية الخالدة التي لا مفر عن السير بموجب تعاليمها وهذا يبعث الأسى والأسف في النفوس.

البلاد خلو من المعاهد العلمية التي تغذي النفوس، إلا ما روى مؤلف كتاب تاريخ اليمن في ص**٢٩٣**، من وجود دار العلماء والمتعلمين والمدرسة العلمية ومدرسة الأيتام في صنعاء. وهي خلو من المستشفيات والأطباء غير ما يرى من وجود طبيب إيطالي واحد في صنعاء ... وما ظنك بتأثير هذا الطبيب في بلاد يبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين؟ أو يزيدون ... ولست أعرف سببًا يمنع حكومة صنعاء من استخدام الأطباء من مختلف البلدان العربية إذا لم يتيسر لها أطباء يمانيون لتدرأ شرور الأمراض والأوبئة، أم أن جلالة الإمام يحيى هو كل شيء في اليمن، هو الحاكم والآمر والناهي وهو الوزراء كلهم وهو في ذلك الطبيب.

وكان من نتائج فقدان الوسائط العلمية لمقاومة الأمراض، أن انتشرت انتشارًا لا يبعث على الطمأنينة، وكان فتكها ذريعًا وكانت وفيات الأطفال على كثرة مخيفة، فقل أن يعيش لرجل أكثر من ثمانية أو تسعة أولاد من عشرين ولدًا أو يزيدون، حتى جلالة الإمام فقد كان له أربعة وثلاثون ولدًا من زوجاته الأربع، بقى منهم حيًا ستة عشر ولدًا أي أقل من النصف...

ولست أدري ما يمنع الحكومة المتوكلية من إرسال البعثات العلمية لدراسة مختلف نواحي الدراسات كالطب، والصيدلة، والحقوق،

والصناعات، وغيرها ... في أوربا وفي غير أوربا من بلاد الشرق الناهض كمصر وتركية، كما أرسلت بعثة لدراسة الطيران في إيطالية. وفي بعض الأنباء التي لا نجزم بصحتها، أن الإمام أرسل طالبين لدراسة الطب في مصوع وأسمره ولكنه لم يلبث أن أرجعهما مستثقلاً نفقاتهما، فأمة تبغي أن توجد لها كيانًا سياسيًا بين الأمم، أمة تبغي أن تتبوأ مكانها تحت الشمس يجب أن لا يصد حكومتها عن إدخال الإصلاحات في البلاد، عظم النفقات التي تتطلبها تلك الإصلاحات، وإلا شلت الأمة وقضى عليها بعامل تنازع البقاء وبقاء الأنسب. غير أني أروي هذا الخبر تام واحتفظ لنفسي الشك بصحته؛ لأن الدعايات السياسية في هذه الأيام تسوغ الافتراء على التاريخ، وليس غريبًا أن يكون ذلك من نوع الدعايات التي يذيعها خصوم الإمام، لاسيما أن مصدرها عدن.

ولكن الذي لاشك فيه أن الجمود والركود في أكثر مناحي الحياة يسودان اليمن؛ فهل لنا أن نطلب من جلالة الإمام يحيى وهم العالم الجليل، بل هو أغزر أمراء الجزيرة علمًا، وأكثرهم معرفة بلا منازع، هل لنا أن نطلب منه الاهتمام بنواح أخرى من حياة شعبه كاهتمامه بالناحية العسكرية الحربية، هل لنا أن نطلب منه الاهتمام بالناحية الفكرية، ناحية التجديد الاجتماعي، ناحية الإصلاح والإحياء، أننا لا نطالب جلالة الإمام بأن يتناول بالتغير مظاهر الحياة، بل نطالبه بإصلاح ما هو أبعد من المظاهر نطالبه ببعث اليمن بعثًا جديدًا في الاجتماع، ونظم الحكم السياسي، نطالبه بحركة تهذيب واسعة النطاق تتناول العقول والأفكار بالتغير.

والذي يبشرنا بدخول اليمن السعيد بهذا الطور من تاريخه، طور الإحياء

والتجديد ما نراه من بوادر النهضة الأدبية في تلك الربوع المباركة، فقد وصلت المطابع عاصمة حمير بعد رحلتها البطيئة في الجزيرة العربية، وكانت جريدة الإيمان لا تزال تصدر بصنعاء من ثمارها، وليس بمستبعد أن تتم عما قريب حركة طباعية واسعة يتم فيها طبع نفائس المخطوطات النادرة التي لا توجد في غير مكتبة الإمام، وبذلك تقدم اليمن خدمات مشكورة للتاريخ والأدب العربي، أن العرب عيون تتطلع إلى الجنوب الغربي من جزيرة العرب، تنتظر بعث أمة من جديد؛ فهل ستحقق تلك الأماني قريبًا يا ترى؟



الصحف والصحافة في جزيرة العرب[1]

- ١ -

الصحافة في الجزيرة وليدة بين ملوك العرب مع بعضهم من جهة ومع أوربا من جهة أخرى - الصحافة في الجزيرة حديثة العهد - الأسباب والنتائج - القبلة - أم القرى - الإيمان - النهضة الحضرمية - الكويت.

شهدت الجزيرة العربية عقب الحرب العامة كثيرًا من الانقلابات والتطورات السياسية، مما لم يتيسر لها في عهد طويل من تاريخها الماضي، فممالك شيدت، وإمارات أقيمت، وملوك نصبوا، ولكل من هذه الممالك، وتلك الإمارات، مشاكل سياسية معقدة، ونضال عنيف مع الاستعمار الأوربي الجشع الذي ما برح يفتش عن غنيمة هنا وهناك في أنحاء الجزيرة.

ففي الحجاز قامت **مملكة** الملك حسين الذي ناصر الحلفاء في الحرب العامة، وكان حليفهم وأكثر من حليفهم، والذي منوه الوعود الجميلة والمواثيق الخلابة، ثم لم يجد بعد أن هدأت الزوبعة غير استعمار أوربي جائع شره، أنشب أظفاره في جسم البلاد العربية المضطرب فمزقه، وكان العرب فريسته ... وكم للاستعمار من فرائس بريئة؟!.

وفي شرقي مملكة الحسين قامت مملكة ابن السعود خصم الملك حسين

(١) حسين الجميل، مجلة الشباب، العدد الثاني، السنة الأولى، آذار ١٩٢٩م، ص٦٠، ٦٣.

حليف الإنكليز أيضًا، فكان جوار هذين الخصمين لابد أن يجر بعده سلسلة حوادث مفجعة مؤسفة، فكان هجوم جيش الملك حسين عام **١٩١٩**م على مملكة خصمه وجاره ابن سعود، وكان تغلغل هذا الجيش إلى قلب نجد، وكانت موقعة تربة التي نكب فيها الجيش الهاشمي نكبة جعلته بعدها خيالاً دقيقًا، بعد أن كان شيئًا أو بعض شيء.

ثم كان النزاع العنيف بين الخصمين العربيين ابن السعود والإمام وكان انتصار ابن سعود ملك الحجاز نجد وملحقاته.

وفي جنوبي الحجاز تقوم إمارة العسير التي اشتد النزاع عليها بين الملك حسين والإمام يحيى أولاً، ثم بين ابن السعود والإمام يحيى ثانيًا، ولكل حججه وبراهينه لنصرة وجهة نظره في ضم العسير لملكه.

وهناك في جنوبي اليمن اليوم تقوم إمارة لحج والمحميات التسع، وعدن، وجلالة الإمام يحيى مجد في انتزاعها من الإمبراطورية البريطانية تحقيقًا لحلمه الجميل وحدة اليمن.

فكان أذن هنا وهناك وهنالك مشاكل سياسية معقدة، اشتبكت فيها مصالح ملوك العرب وتداخلت منافعهم، وزادها تعقيدًا تدخل بعض دول أوربة الاستعمارية وإنكلترة في طليعتها طبعًا، في هذه الشؤون تحقيقًا لمنافعها الخاصة.

فكان كل أمير جد محتاج للدعاية السياسية الواسعة لنصرة **وجهة نظره**، ورد مزاعم خصومه، فكانت الصحف السياسية في جزيرة العرب وسيلة تلك الدعاية، وثمرة تلك المنازعات.

وكانت جريدة **القبلة** أول الصحف السياسية في الجزيرة؛ إذا استثنينا جريدة **صنعاء الأسبوعية الرسمية** التي صدرت عام **١٨٧٧**م بعاصمة حمير بأربع صفحات كبيرة، ثم بثمان صغيرة، باللغتين التركية والعربية بإيعاز السلطان المستبد عبدالحميد الثاني لنشر دعوة وتكوين رأي عام يعضده[(١)].

أصدر الملك حسين **القبلة** في مكة عام **١٩١٩**م فما علة حداثة عهد الجزيرة بالصحافة يا ترى؟ أن السبب يعود إلى:

١- ما ذكرناه من إصدار أمراء الجزيرة لنصرة وجهة نظرهم في نزاعهم مع بعضهم ومع الدول الأوربية ذات المطامع الاستعمارية في بلادهم ... وبوسعك أن تتحقق من ذلك إذا تصفحت جريدة القبلة التي أصدرها جلالة الملك حسين، عندئذ ترى جهودها في الدفاع عن سياسته وتبرير أساليبه الشاذة في الحكم والتنكيل بخصمه جلالة الملك ابن السعود إذا كان ذلك فليس غريبًا إذا وقفت جريدة **أم القرى** التي يصدرها ابن السعود اليوم في مكة عكس الموقف الذي كانت تقفه القبلة من قبل.

أما جريدة **الإيمان** التي يصدرها جلالة الإمام يحيى في عاصمة ملكه فهي ثورة على السياسة الإنكليزية في جزيرة العرب، نظرًا للنضال العنيف القائم بين الإنكليز وجلالة الإمام يحيى حميد الدين لاختلافهما على مصير النواحي المحمية، وعدن، ولحج، وقد أصدرت عددًا خاصًا في أواسط آب الماضي للتشهير بنوايا الإنكليز الاستعمارية في جزيرة العرب، وما ارتكبوه

(١) تاريخ الصحافة العربية، تأليف الفيكونت فيليب دي طرازي، المطبوع عام **١٩١٢**م، الجزء الثاني، ص**٢٠٦**.

من جرائم وآثام في هذه البلاد الآمنة المطمئنة . . .

وقفت جريدة **النهضة الحضرمية** من سمو **صالح القعيطي** سلطان حضرموت، والمكلا، وبلاد الشحر، نفس الموقف الذي تقفه جريدتا الإيمان وأم القرى والقبلة من قبل بالنسبة للإمام يحيى وابن السعود والحسين فهي لا تنفك تعمل على بث دعوته السياسية والدفاع عن خططه وأعماله وهو عندها فوق ذلك «ضوء شمس المعارف، وكهف مأمن الخائف، مركز العدل، وإنسان عين الفضل، فخر البلاد الحضرمية، ومؤسس النهضة الوطنية، لا برحت كؤوس السعد منزعة بين يديه، وشموس المعالي موطأ لأخمصيه»[1].

فأنت ترى أن السبب الرئيسي لإنشاء هذه الصحف هو بث الدعوة لأمراء جزيرة العرب الذين تدبروا واشتبكت مصالحهم فتعقدت مشاكلهم وليس أجدى على هذه الشؤون السياسية من دعاية الصحف في داخل القطر وخارجه لتكوين رأي عام عالمي يعطف على قضية البلاد ويناصرها.

٢- أن الصحف العربية كانت ثمرة المطابع التي بقيت الجزيرة محرومة من نعمها حتى وصلتها أخيرًا فكانت الصحف خير ما أنتجت.

٣- أن عرب الحجاز واليمن وحضرموت والكويت وغيرهم لم يعودوا ممن يقنع بتلك العزلة التي كانت تكتنف جميع مظاهر الحياة في الماضي، فأخذوا يتطلعون إلى مجرى السياسة الخارجية، ويقرؤون بين حين وآخر وبعضهم بانتظام الصحف العربية في مصر وغيرها من بلدان الشرق العربي؛

---

(١) عن العدد الأول من النهضة الحضرمية بعد المقدمة.

وما كان يشبع رغباتهم في الاطلاع على حوادث بلدانهم ومجرى سياستها غير تلك الصحف التي تصدر في بلدانهم نفسها، فكانت القبلة ثم أم القرى في الحجاز، والإيمان في اليمن، والنهضة الحضرمية في حضرموت، ومجلة الكويت.

٤- أن ظلمات الأمية في البلدان التي نبحث عن الصحافة فيها بدأ يلمع في جوانبها نور قد يشتد سطوعه، إذا استمرت الجهود الحالية في مقاومة الأمية أو اشتدت، فالصحافة التي لم يكن لها مطامع في هذه البلدان في الماضي أصبحت إحدى حاجاتهم، وكان طبيعيًا أن تحقق تلك الحاجات.



الصحف والصحافة في جزيرة العرب[1]

- ٢ -

والقبلة جريدة صدرها الملك حسين في مكة خمدت أنفاسها منذ أن خمدت أنفاس الحكومة الهاشمية في الحجاز، فعقبتها **أم القرى** عام **١٩٢٤**م، وهي جريدة عربية إسلامية كما كتبت عن نفسها تصدر في الأسبوع مرة واحدة بأربع صفحات «الصفحة **٥٠** سم × **٣٥** سم» هي حسنة التحرير جيدة الطبع، حسنة الورق والتبويب، تجد في صدر كل عدد أقوالاً مختارة في شؤون أدبية مختلفة لمشاهير أدباء العرب السالفين أمثال ابن المقفع، والخوارزمي، والفرزدق، وفي ذلك ما يدلك على ناحية من نواحي تفكير محرريها، فالماضي لا يعدم من عنايتهم نظرة بين حين وآخر، هي نظرة الوله المحب المعجب بالقديم نظرة من ملأ الماضي مشاعره فلا خير لجديد، فالمحرر لا ينفك يختار من طرف الماضي وطرائفه ما يردده مختالاً فخورًا.

وشيئًا من عناية الجريدة بالقديم وتعلقها به نجده في غير ذلك فيما كتبته عن ثورة المحمرة، ففيها: «... تفاقمت الثورة في أنحاء عربستان وعجزت حكومة فارس عن إخمادها بالسيف... وهذه الأنباء تدل على إخفاق السياسة التي أرادت اتباعها حكومة فارس في بلادها بإجبار الأهلين ترك

(١) حسين الجميل، مجلة الشباب، العدد الرابع، السنة الأولى، أيار **١٩٢٩**م، ص١٣٧، ١٤٢.

تقاليدهم وعاداتهم التي ألفوها منذ القدم، واتباع عادات وتقاليد غريبة عنهم لا تتفق وتلك بشيء، ونرجو أن تكون هذه عظة للأمم الأخرى»[(١)]، وشيئًا من ذلك نجده أيضًا فيما كتبته عن ثورة الأفغان الرجعية ضد حركة الإصلاح والتجديد ففيها: «أما الأفغان فإن الحالة تسير من سيء إلى أسوء، ولهيب الثورة يندلع بين القبائل والأهلين ... ولكن يمكننا أن نقول منذ الآن بأن التجربة التي يحاول الأفغان القيام بها ستكون نتيجتها الإخفاق التام كما حدث في فارس»[(٢)]، وفي عدد آخر عن هذه الثورة «تجتاز بلاد الأفغان أزمة خطيرة ستسفر عن نتيجة حاسمة بين الحكومة التي تحاول إدخال الإصلاح عن طريق غير قويم وبين الشعب الذي يود المحافظة على ما ألفه من تقاليد وعادات، ومهما يكن من الأمر فإننا نتمنى أن تعدل الحكومة عن الخطة التي خطتها لنفسها في الإصلاح فتعود المياه إلى مجراها ويسود الوئام بينها وبين الشعب»[(٣)].

تظهر لك هذه المقتطفات مبدأ الجريدة الاجتماعي ونظرها إلى حركة الإصلاح والتجديد التي غمرت تركية وإيران فاجتاحت أمامها قيود الماضي والتقاليد، أما في أفغانستان فقد اصطدمت موجة الإصلاح بصخرة التعصب القديم، فتحطمت وباءت بالفشل والخسران، فأم القرى وإن ناصرت حركة الإصلاح والعمران البطيئة في الحجاز فهي لا ترجو لحركة الإحياء في هذه البلدان ما يرجوه لها المجددون في أنحاء الشرق وغير الشرق من بلدان العالم.

---

(١) عن عدد ٢٠٧ الصادر في ١٤ ديسمبر «كانون الأول» ١٩٢٨م.
(٢) عن العدد ٢٠٧ أيضًا.
(٣) عن العدد ٢٠٩ الصادر في ٢٨ ديسمبر ١٩٢٨م.

سنصف لك ثلاث أعداد من هذه الجريدة لتختبر مبادءها وآراءها السياسية والاجتماعية، وأول الأعداد التي سنصفها لك العدد **٢٠٧** الصادر في **١٤** ديسمبر «كانون الأول» **١٩٢٨**م، فهو مصدر بكلمة مختارة لابن المقفع، ثم تجد مقالاً افتتاحيًا عنوانه «شنشنة نعرفها من أخزم» أنحى فيه المحرر باللائمة على بعض مراسلي الصحف الأجنبية الذين يوالون نشر الأخبار الكاذبة عن الحجاز، ومن ذلك ما أذاعوه أخيرًا عن إخفاق مؤتمر الرياض وعن حدوث ثورة ضد الحكم السعودي في الحجاز.

ثم أنباء الشرق فكتبت عن العلاقات بين الصين، واليابان، وثورة المحمرة، وثورة الأفغان، ثم أنباء الغرب والأنباء الخارجية والداخلية.

وفي أول الصفحة الثالثة مقالاً عن المطابع في الحجاز جعل الكاتب عنوان مقالته «تاريخ الطباعة والصحافة في الحجاز»، ولكنه لم يكتب شيئًا عن الصحافة قط، ثم سورية وفلسطين والعراق ومصر، وفي أول الصفحة الرابعة مقال عن المعارف في الحجاز ثم مقتطفات وإعلانات.

أما العدد **٢٠٨** فقد صدر في **١٨** ديسمبر الماضي في ثمان صفحات بصورة شاذة، استغرق حديث مؤتمر الرياض أربع صفحات ونصف، ثم أنباء داخلية وأخبار مصر وفلسطين وسورية وشرقي الأردن والعراق، ثم أنباء الشرق والغرب، وقصيدة ألقيت في المعهد الإسلامي السعودي بمناسبة زيارة سمو فيصل نائب الملك العام في الحجاز لهذا المعهد ثم مقتطفات وإعلانات.

والعدد **٢٠٩** صدر في **٢٨** ديسمبر **١٩٢٨**م، وفيه مقالة عن العلاقات

بين نجد والعراق، ثم أنباء الشرق والغرب، فالحوادث المحلية، ثم قصيدة عنوانها «الملك فيك من الأجداد متصل» رفعها ناظمها إلى جلالة الملك ابن السعود، ثم كلمة عن أحمد بن ماجد الربان النجدي الذي قاد فاسكو دي جاما إلى الهند، ثم أنباء مصر وسورية وشرقي الأردن والعراق، ثم المقتطفات والإعلانات.

وفي الحجاز غير جريدة أم القرى «**الإصلاح**» وهي مجلة دينية علمية اجتماعية أخلاقية، تصدر مرتين في الشهر مؤقتًا في مكة بأربع وعشرين صفحة لصاحبها محمد حامد السقفي من علماء الأزهر الشريف ورئيس شعبة الطبع والنشر بمكة، حسنة الطبع والورق تدور بحوثها حول المواضيع الدينية، ولست أدري ألا يشعر صاحب المجلة معي بافتقار صحيفته إلى البحوث الطريفة في مناحي الحياة على تباينها واختلافها، والمجلات إنما أوجدت لمثل هذه المواضيع الحديثة الطريفة التي تصطبغ بخضرة الحياة، مما يعوز هذه المجلة.

أمامي الآن العدد السادس منها الصادر في **٣٠** أكتوبر «تشرين أول» **١٩٢٨**م، فإذا بمواضيعه تدور حول ما تغنينا كتب التفسير المستفيضة عن مطالعة هذه الصحيفة، ففي هذا العدد «تفسير آية من آيات القرآن الحكيم»، ثم فصل في «مقدمة التفسير»، فنماذج في صناعة الخطب، فبحث عن «الدين والدنيا والصلة بينهما»، وآخر عن «التدين»، فكلمة عن «الحالة العلمية في الجزائر»، فصفحة واحدة عن «القرآن الكريم وأثره في اللغة والعلم والاجتماع والأخلاق»، ثم «منشور الإمام سعود الكبير».

وفي حضرموت، ذلك البلد النائي في أقصى الجنوب من جزيرة العرب أناس يكافحون في سبيل الحياة، يكافحون سلطة المستعبد العاتي الذي جاءهم من أقصى الغرب مستعمرًا مستعبدًا، فأرهق ودمر، وعتا واستكبر، في ذلك البلد حيث يناضلون الإنكليز، تصدر «**النهضة الحضرمية**» وهي جريدة وطنية، إصلاحية، اجتماعية، تصدر في حضرموت مرة في الشهر مؤقتًا عدد صفحاتها أربع «الصفحة **٣٠** سم × **٢٠** سم» رئيس تحريرها ومديرها المسؤول: الطيب الساسي.

يدلنا رداءة طبعها لا على إسفاف الطباعة وقلة معداتها في حضرموت، فالحروف قديمة والورق رث والطبع سقيم، يسود تحريرها السجع والتكلف، ففي مقدمة العدد الأول «وبعد فقد أخذ الوطن منذ حقبة من الدهر وبرهة من الزمن يجأر بملء فيه، ويستنصر بذويه، ويرفع أكف الضراعة إلى قوم طالما ارتضعوا أخلاقه، وارتشفوا أسلافه، وكرعوا من نميره، واستنشقوا من عبيره، وهاموا وظلوا وشظف العيش فيه يضطرهم إلى النزوع عنه، واضطراب الأمن به يحملهم على البعد منه» وختمت المقدمة بالدعاء لسلطان حضرموت والمكلا وبلاد الشحر صالح القعيطي، وفي العدد بلاغ من سلطان حضرموت إلى شعبه عن الاتفاق بين الدولتين القعيطية الحضرمية والدولة الكثيرية، وتهنئة شعرية للجريدة، ثم فصل من النهضة الجديدة في حضرموت.

وفي صنعاء عاصمة حمير ذات الأمجاد التاريخية تصدر جريدة «**الإيمان**» الشهرية بأربع صفحات متوسطة لصاحبها السيد قايد بن محمد سريع، ومحررها الأول القاضي عبدالكريم مطهر، وهي أصح من النهضة

الحضرمية عبارة، وأرقى تحريرًا، وأحسن ورقًا وطبعًا.

جاء في مقدمة السنة الثانية: «... وها هي داخلة في عامها الثاني، وشارعة في اجتياز مرحلته بخطواتها المتتابعة في تلك الجادة العظمى، ورامية بأهداب أبحاثها إلى الطريقة المثلى، ومجدة في إيقاظ شعور المسلمين وإخوان الدين، والحب على الاتباع، والإرشاد إلى الوحدة الدينية، وما لها من الآثار الخيرية في المبدأ والمعاد، وما يعود بها على المجتمع من تنظيم شؤون الاجتماع، وبيان وسائل الاتفاق والتحذير من مهاوي صغر الشقاق، وليس لها غير جادة الدين تعريج، ولا بسوى تقوية رابطة الوحدة الدينية عوم بعباب أو خليج، فقصارى همتها تثقيف العقول، وتنبيه الأفكار من سنة الفضول، والإرشاد إلى ما يكون به إعلاء كلمة الله تعالى، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله، والتمسك بهدي السلف الصالح، وترك الابتداع في الدين، والعض بالنواجذ على تعاليم الشرع المبين، والتحذير من مزالق الظلال والمضلين».

وفي العدد أخبار داخلية وقصيدة للقاضي محمد بن أحمد مطهر أحد محرري الجريدة عنوانها «الإسلام وأهل الغرب»، ثم صفحتان في الشؤون السياسية العامة.

والجريدة إسلامية في سياستها، تدعو إلى الوحدة العربية، ولعل الأستاذ القاضي محرر الجريدة يرى أن الروابط الدينية في عصر القوميات وتحرير الشعوب، أقوى من أواصر الدم واللغة والأمجاد التاريخية ووحدة الذكريات والأماني، العرب سواء في حقهم المسلوب، وحرمتهم المضطهدة، وتراثهم المنتهب، وفي ذلك ما فيه من إيقاد شعور الألم والوجد، وفي ذلك ما فيه

من بعث الأسى والحسرات، وضم الصفوف لتحقيق الأماني والآمال، وفي وسع القومية العربية وحدها أن ترجع الصفعة وترد اللطمة، فأجدر بجريدة الإيمان إذن أن تستنفر شعور العرب ذوي الأمجاد التاريخية، بدل بعض الدول الإسلامية التي أخذت تخاصم الغرب هنا وهناك وتنصر دول أوربة.

ومثل مجلة الإصلاح في الحجاز **مجلة الكويت** في الكويت، مع بحوث قلائل في مواضيع أدبية واجتماعية، تصدر في الكويت في الشهر مرة واحدة، في خمسين صفحة، ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول عبدالعزيز الرشيد، مؤلف كتاب تاريخ الكويت في جزأين، والمجلة حسنة الطبع والورق، تشغل البحوث الدينية عددًا قليل من صفحات المجلة، وهي خلو من التاريخ الميلادي، أمامي الآن الجزء السابع منها وهو عدد ربيع الأول ١٣٤٧هـ، أي عدد آب ١٩٢٨م، ولست أدري أيعتقد صاحب المجلة بأن الإقدام على استعمال هذا التاريخ الميلادي، منكر لا يقدم عليه إلا كل آثم ملحد، أم أنه يقف من الجديد بشيء غير قليل من الرهبة والوجل؟.



المرأة الحديثة في جزيرة العرب[1]

قضية المرأة - موقع المرأة العربية من هذه القضية - تقسيم الأعمال بين المرأة والرجل - ماذا يقول لينين؟ اختيار المرأة زوجها - أغرب أنواع الاختيار.

وقد أصبحت للمرأة في هذا العصر قضية لها المناضلون عنها والمدافعون عن مطالبها، وأضيف إلى جنب مشكلة التسليح البحري ومسألة الهند الوطنية، قضية تحرير العرب، قضية دفاع المرأة عن حقوقها ومطالبها التي لا يتطاول الشك إليها ولا يمسها الوهن والضعف، فالمرأة لا تنفك تجاهد وتناضل لترى نفسها يومًا ما والرجل ندين، ليس الرق حلقة اتصالهما، ولا العبودية صلة بينهما، وهي في سبيل تحقيق هذه المساواة أنشأت الأندية والجمعيات، وأصدرت الكتب والصحف لترفع صوتها صاخبًا عاليًا في أرجاء العالم مناديًا بتحرير المرأة وتحطيم قيود أرادها الرجل فكانت.

وللمرأة العربية في هذا الجهاد نصيب، ولها فيه مساع مشكورة، وإن كانت دون ما يتطلب المخلصون من أبناء هذه البلاد.

ففي القطر السوري الشقيق يقوم اليوم نضال عنيف بين المرأة المتعطشة إلى الحرية، وبين الطبقة الرجعية المحافظة المغالية في اضطهاد المرأة وإرهاقها، وفي العراق مثل ما بسورية من نزاع في سبيل تحرير المرأة هو مظهر من مظاهر الخصام الرهيب بين الرجعية والتجديد، وقد يشتد هذا النزاع

(١) حسين الجميل، مجلة الشباب، العدد الخامس، السنة الأولى، حزيران ١٩٢٩م، ص١٧٤، ١٧٧.

وذلك النضال كلما كانت المعركة حامية بين القديم والجديد، وللقديم في العراق أنصار ضعاف في نفوسهم، ضعاف في مطالبهم وحججهم، ولكنهم كثرة والأكثر ساحقة وإن كانت تعضد الباطل. والنضال في هذين البلدين أقل عنفًا وأبسط مظهرًا مما هو عليه في مصر، ففي مصر تقوم اليوم حركة جبارة تخاصم القديم وتنازعه البقاء، ولها في هذا البلد أنصار جاهدوا جهاد الجبابرة لتفوز قضيتهم الحقة، وللحق صولة تقصم الظهور.

حركة تحرير المرأة في الهلال العربي الخصب (العراق وسورية ومصر) أشد عنفًا منها في الجزيرة العربية بين الرياض ومكة وصنعاء، وبين مغارب البدو ورمال الجزيرة اللافحة؛ لأن المرأة في الهلال الخصب أكثر تعلمًا وتهذيبًا من المرأة العربية في الجزيرة؛ ولأن نصيبها من عنت الرجل وإرهاقه أكبر قسطًا من فتاة الجزيرة، فالمرأة في جزيرة العرب تشاطر الرجل أعماله في الرعي والزراعة وفي الغزوات أيضًا، ولعل ذلك لنقص في عدد الرجال عن عدد النساء في أكثر أصقاع الجزيرة لكثرة ما يقتل من الرجال في الغزوات والحروب، وهذه القلة اضطرت المرأة إلى القيام بقسط من أعمال الرجل خارج البيت.

ومثل ذلك ما شهدته فرنسا عقب الحرب العامة التي حصدت زهرة الشبيبة الفرنسية فاضطرت المرأة للقيام بأعمال ما كان يقوم بها غير الرجل قبل الحرب؛ ولعل ذلك أيضًا لأن الجزيرة لم تتمتع بعد بحضارة ومدنية تبعد قانون تقسيم يبتعد بقدر ما تتقدم الهيئات بحضارتها وتمعن في مدنيته(١).

وإذا كان لينين زعيم الثورة البلشفية الحمراء يقول «على كل طاهية أن تتعلم كيف تحكم الدولة، وعلى كل عاملة أن تشترك في تشييد الدولة

(١) ماريون الكاتب الاجتماعي الكبير في كتابه «نفسيات المرأة».

الاشتراكية، وعلى كل فلاحة أن تفهم جميع المسائل العامة» فكثيرًا ما شهدت الجزيرة العربية زعيمات قمن برئاسة قبائلهن كأحسن ما يقوم بذلك رئيس حصيف أنجبته الخبرة والتجارب، فالمرأة العربية إذن تعلمت كيف تحكم القبيلة واشتركت في تشييد مجد العشيرة، والفلاحة إذن فهمت جل ما يتعلق بقبيلتها من المسائل العامة.

وإذا كانت مسألة سفور المرأة تملأ حيزًا كبيرًا من قضايا تحريرها في العراق وسورية ومصر، فالبدوية في الجزيرة سافرة بطبيعة الحال، بل هي لم تتحجب يومًا ما لتسفر الآن.

ولعل ما يصب المرأة الأوربية من العجب عندما تشاهد المرأة الشرقية محجبة، كأنها كيس من الفحم يسير في الشارع والطرقات يصيب بنت الجزيرة أيضًا عندما تشاهد نفس المنظر في مدن الهلال العربي الخصب في شمالي الجزيرة، وهي مع ذلك كله لم تنل حقوقها كاملة غير منقوصة؛ فما زال حق اختيار الزوج في الجزيرة للرجل دون المرأة؛ أو قل هو لأسرة الرجل وليس لأحد الزوجين، والمرأة في الجزيرة تحب كغيرها وقد تهيم في حبها إلى أبعد حدود الغرام كما يحب الرجل ويهيم، فلهما إذن وحدهما دون سواهما حق الاختيار، وإن كانت روزيتا فوربس(١) تنكر على العربي

(١) روزيتا فوربس رحالة مشهورة جابت كثيرًا من الأقطار العربية، وأوثقت صلتها بها، ثم كتبت فصلاً في إحدى المجلات عن شؤون عربية، نقلته مجلة البلاغ الأسبوعي في العدد ١٠٤، وقد برهنت بمقالها هذا على أن جل الغربيين لا يمكن أن يفهموا الشرق مهما ادعوا لأنفسهم من الخبرة في شؤونه، ومهما أطالوا مدة مكثهم بين ربوعه.

حبه وتزعم «أن الجمل الذي يقاتل العربي عليه خصمه أو الجواد الذي يخرج عليه إلى الصيد أحب إليه من أي امرأة في العالم» فهي إذا أنكرت على العربي حبه وغرامه، فقد نست أن العربي كغيره ذو قلب يحب ونفس حساسة شاعرة أملت عليه شعر الغزل والنسيب فسمى بذلك إلى أعلى مراتب الحب والجمال.

والحب في الرياض وصنعاء وعدن وفي رمال الصحراء ولغمات القصيم والنفوذ هو الحب في قصور فينا وملاهي باريس وزراعات برلين، والحب هنا وهناك مبعث الألم والبسمة، وهو يوحي فيبعث الشعر حيًا، وإذا كان لامارتين وموسيه شاعري الحب والجمال، فللعرب لا ماريتهم وأكثر من لامارتين، فالعربي إذن يخفق قلبه خفقة الحب الخالدة؛ وهو إذن لا يحب جمله أو جواده أكثر من أي امرأة في العالم، وهو إذن يفهم الحب ويتحسس به فؤاده كما يفهمه أبناء الصين والراين، وإذا صح ما ذكرته الكاتبة من أن أعرابيًا استغرب حب الزوج زوجته بحضورها فذلك فرد لا يصح استنباط حكم عام من حادثة وله في روما وباريس أمثال وأحزاب.

ولعل أغرب أنواع اختيار المرأة زوجها ما يجري في عسير وهو أن تركب فتاة مقنعة على ظهر هجين لتقود أول غزوة تقوم بها القبيلة في بداية العام الجديد، فإذا وفقت الغزوة إلى النجاح تركوا لها حرية اختيار أحد فتيان غزوتها زوجًا لها.

والحب المتبادل بين الزوج وزوجته أظهر في جزيرة العرب منه في الهلال العربي الخصب، فقلّ أن ينشب خلاف بينهما، ولعل ذلك يعود إلى

احترام المرأة الرجل احترامًا يرفع بينهما عوامل النزاع والخصومة أكثر منه إلى أسباب أخرى.



أول طيارة في حضرموت وتأثيرها على الناس[1]

ذكرت جريدة (حضرموت) التي تصدر في سورابايا في جاوه في عددها الـ ٢٢٢ أن طيارة إنكليزية نهضت في عدن وحلقت في حضرموت فوق هذه المدن الشحر، وظفار، سيحوت، والمشقاص، ودوعن، وجول عبيد، وشبام، وسيئون، وتريم، وشعب هود، وأخذت صورا لتلك الجبال والمدن ثم رجعت إلى المكلا، ولما رآها الحضارمة انزعجوا أي انزعاج من دويها في الفضاء فتراكض الناس إلى السطوح وإلى الساحات، وفر البعض فرارًا، وجفلت الإبل في بعض النواحي وذهبت تعدو عدوًا في الصحراء، وتفرقت الأغنام وقلق البدو وخافوا سطوة هذا العقاب الذي لم يؤمنوا به، وأصبحت الطيارة حديث المجالس وموضع الآراء.



(١) مجلة لغة العرب، مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية، تاريخ وقائع الشهر في العراق وما جاوره، الجزء الثاني، السنة الثامنة، شباط ١٩٣٠م، ص١٥٧.

في البلاد العربية (اليمن)[1]

في اليمن السعيد حركة نحو الاتصال بالمدنية الحاضرة، والخروج عما ألفته من تمسك بالقديم من تقاليد القرون الوسطى، وكان باكورة هذه الحركات البعثات العلمية الكثيرة التي أرسلتها إلى العراق وهو القطر الشقيق الذي يرحب كل الترحيب بوفود البلاد العربية، ونعتقد أن الحرب الاستعمارية التي اشتعل إوارها في بلاد الحبشة ما يدفع أبناء اليمن والقائمين بتدوير أمورها إلى اليقظة والاهتمام بمصالح بلادهم، وخاصة ما يتعلق منها بالجيش وتزويده بأحدث الأسلحة التي عرفتها النظم الأخيرة، وهم قبل غيرهم يعلمون أن الاستعمار فاغر فاه اليوم وهو لا يعرف الصداقة والمحالفة وغيرها من النعوت إلا بقدر ما تسهل له مطالعة من معرفة شؤون البلاد والوقوف على دقائق حالتها فيقدم على تنفيذ خططه الجهنمية، وخير وسيلة لدرء عاديته هي الاستعداد التام، ونشر العلوم والمعارف الحديثة، والاهتمام بالرجال الذين توكل إليهم مصالح البلاد؛ لأنها قضية مهمة وعليها يتوقف سعادة البلاد ورقيها.



(١) المثنى بن حارثة الشيباني (بغداد)، صحيفة أسبوعية جامعة، العدد الثالث، السنة الأولى، ١٠ أيلول ١٩٣٦م، ص٢٠.

في بلاد العربية (اليمن)

وصل اللاذقية - سوريا - السيد عابدين حماده الذي كان منتدبًا لوضع أسس المعارف في اليمن، وقد جاء في تصريحه لمندوبي الصحافة بأن المعاهد العلمية ما زالت في اليمن في دورها البدائي وما زالت العناية بها أقل مما ينبغي بالرغم من اشتياق الأهلين ورغبتهم في فتح المدارس لأبنائهم، ويضيف إلى كلامه بأن الأمل كبير بنهضة قومه تعم أصقاع اليمن، وذلك لازدياد الاتصال اليوم بين اليمن والخارج، وقوف أبناء اليمن على النواقص الكبيرة التي هم بحاجة إلى سدها وشعورهم العظيم بدنو الخطر الذي يحيط بهم.

اليمن وفلسطين:

أرسل ولي عهد اليمن برقية إلى مفتي فلسطين ينبئه بتحويل ألف دينار كمساعدة لإخوانه في فلسطين، ويزيد قائلاً بأن والده جلالة الإمام قد أبرق إلى المراجع المختصة طالبًا إنصاف فلسطين، ومشعرًا إياهم بأن النكبة التي تصيب فلسطين تعتبر موجهة لبلاده، ثم يقول بأن جلالة والده سيتخذ كل التدابير التي من شأنها إسعاف فلسطين وإنهاء مشكلتها على شكل يرضي أبناءها، ويرضي العالمين العربي والإسلامي.



الوفد اليماني[1]

استقبل العراق وفد الشعب اليماني بترحيب عظيم أظهر فيه ما يكنه قلبه من شعور فياض نحو إخوانه في الأقطار العربية، والبادرة التي تثلج قلبنا في حكومة اليمن هي انتباهها إلى أهمية التعليم العالي وسعيها لنشره في بلادها وإكثارها من البعثات التي ترسلها إلى الخارج، ونحن نرجو الله أن لا يطول الزمن الذي تنشأ فيه المدارس العالية والكليات الراقية في اليمن نفسها؛ لتعد من شبابها رجالاً صالحين لحمل الراية العربية ورفعها عاليًا بين أمم العالم.



(١) المثنى بن حارثة الشيباني (بغداد) صحيفة أسبوعية جامعة، العدد التاسع، السنة الأولى، ٢٢ تشرين الأول ١٩٣٦م، ص٢٢.

اليمن وحالتها الداخلية[1]

صح ما توقعنا بكل الأسف فلقد ظهر في اليمن روح العصيان، وبرزت بوادر الفتنة التي تنبئ بالشر والخطر الذي سيستغله المستعمرون لحسابهم، وها هي صحفهم تغتنم الفرصة وتذهب في تفسير الحركة شتى المذاهب، وتحاول الآن أن تجد لنفسها البواعث المبررة لتتدخل حكوماتها في الأمر.

ولقد نوهنا مرارًا عن هذه القضية، وذكر المخلصون من أبناء العربية الكثير عن هذا القطر المبارك، ونصح جلالة ملك اليمن بوجوب الإقلاع عما ألفه بالي الطرق والتقاليد في تسير دفة الأمور وفي تمشية الحكم، وذكره الكثيرون بأن ذوي الأطماع يتحينون في مملكته الفرص للإيقاع بها وافتراسها والواجب عليه أن يتبع الطرق الحديثة في تسير الدولة ما أمكنه ذلك، فيتبع طرقهم في أحكام الإدارة وانتخاب الصالحين لها، وفي إصلاح الجيش وإنفاق على عدده، وتوسيع المعارف التي ما زالت في طورها البدائي.

وبالجملة فقد طالبوا إليه أن يباشر الإصلاحات الممكنة كما فعل زميله جلالة الملك عبدالعزيز السعود مع أن وضع اليمن يختلف عن نجد والحجاز، وبلادها أكثر قابلية للإصلاح لقرب رقعتها، وغنى تربتها، ووفرة حاصلاتها، فإن جلالة الملك هنالك لم يكترث بهذا كله وفضل الركون إلى ما ألفه أجداده منذ مئات السنين. إننا نرجو الله أن يرشد المخلصين في اليمن السعيد للاهتمام ببلدهم وإصلاحها وإعدادها للوقوف قوية أمام مطامع الاستعمار ومكائده.

---

(١) المثنى بن حارثة الشيباني (بغداد)، صحيفة أسبوعية جامعة، العدد ١٤، السنة الأولى، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٣٦م، ص٢٠.

القهوة اليمانية[1]

أهدانا حضرة الفاضل محيي الدين العنسي رئيس البعثات اليمانية في العراق كمية من القهوة اليمانية المشهورة بجودتها والتي نأمل أن تحل محل القهوة الأجنبية في بلادنا، فنشكره على هديته وبهذه المناسبة نذكر أبياتًا ثلاثة لأحد الشعراء السلافة في مدح القهوة اليمانية القشرية، وقد زاد عليها زين العابدين عبدالقادر الطبري الحسني المكي بيتًا رابعًا لا خامس لها:-

هات اسقني قهوة قشرية فضحت   بكر المدام وشنف لي الفناجينا

تدعو إلى نحو ما فيه البقاء ولو   دعت إلى ما نحو فيه الفناجينا

لو أن ألفًا أحاطوا حول ساحتها   قصد النجاة رأيت الألف ناجينا

يا ربة الأنس حلينا حماك فإن   نطلب فجودي وإن نسأل فناجينا



(١) مجلة الهدف، مجلة أسبوعية أدبية جامعة، العدد الأول، السنة الأولى، ٢ كانون الثاني ١٩٣٧م، ص١٩.

تنظيم الجمارك في اليمن[1]

استعانت حكومة اليمن بالحكومة العراقية لتحقيق مشاريعها العمرانية وتنظيم مواقفها، وبناءًا على طلب حكومة جلالة الإمام فقد وافقت الحكومة العراقية على إيفاد السيد ناظم حميد معاون مدير جمارك ومكوس الرمادي إلى اليمن؛ لتنظيم إدارة الجمارك والمكوس فيها.

بريد المكلا[2]

طبعت حكومة المكلا طوابع بريد من جنسين، ووصلت إليها أدوات البريد، وستشرع عن قريب في تنظيمه بين البلاد القعيطية وتريم وسيئون.



(١) مجلة غرفة التجارة بغداد، مجلة اقتصادية شهرية جامعة، العدد الثالث، السنة الثالثة، آذار ١٩٤٠م، ص٢٥٥.

(٢) مجلة لغة العرب، تاريخ وقائع الشهر في العراق ومن جاورها، الجزء السابع، السنة السادسة، المجلد السادس، تموز ١٩٢٨م، ص٥٥٨.

اقتصاديات اليمن السعيدة قديمًا وحديثًا[1]

طلبت إلي «مجلة غرفة التجارة بغداد» الغراء كتابة موضوع عن حالة اليمن الاقتصادية في الوقت الحاضر؛ تنويرًا للرأي العام، ولأجل إطلاع الشعب العراقي على وضع اليمن الاقتصادي.

وقد رأيت قبل أن أبدأ في الموضوع أن أمهد له بنبذة صغيرة عن رقي اليمن من الناحية الاقتصادية في أول عهده يوم كان مهد الحضارة العربية ومنبع المدنية السامية، وإليك هذا التمهيد:

اليمن هو ذلك القطر العربي الصميم الذي أمد الجزيرة العربية وأطرافها بالموجات السامية المتتابعة في فترات مختلفة فكانوا بحق رسل الحضارات الأولى وحاملي لواء العمران في أي مكان نزلوا، وما الملك البابلي العظيم (حمورابي) المشرع المشهور إلا من تلك الموجات، وكذلك المناذرة الذين نزلوا العراق وأسسوا لهم حضارة في الحيرة، وكذلك الغساسنة في الشام. واليمن قطر زراعي بطبيعته، وقد شغل بال اليونان والرومان فاهتموا بتاريخه وجغرافيته وأطلقوا عليه (**العربية السعيدة**)؛ لكثرة خيراته وخصب تربته، كما أن العرب سموه (**اليمن الخضراء**).

وكانت الحضارة في اليمن قائمة على ركنين من أركان العمران هما الزراعة والتجارة.

---

(١) أحمد حسن الحورش، عضو البعثة اليمانية في بغداد، مجلة غرفة التجارة بغداد، مجلة اقتصادية شهرية جامعة، العدد الأول، السنة الثالثة، كانون الثاني ١٩٤٠م، ص٢٠، ٢٩.

الزراعة:

اليمن من الأقطار التي لا أثر للأنهار الكبيرة فيها، فلا الفرات فيها ولا النيل، ولكن الزراع هناك يعتمدون على الينابيع المتفجرة من سفوح الجبال وهي تعد في اليمن بالآلاف، وعلى الأمطار التي تسقط بغزارة، وهي تنزل مرتين في العام بانتظام في الصيف وبعض أشهر الخريف، غير أن أمطار الصيف أغزر بكثير من أمطار الخريف، ولما كانت مياه هذه الأمطار تذهب سدى فتغور في رمال الربع الخالي أو تنساب إلى البحر الأحمر فكر أجدادنا القدماء في الاستفادة منها واستغلالها في ترقية الزراعة وتعمير البلاد؛ فنتج عن تفكيرهم تلك السدود العظيمة، والخزانات الخالدة التي خلدت آثارهم، وبرهنت على تمدنهم ورقيهم الفكري والصناعي فكانوا أول من بنى الخزانات والسدود، ولم يقتصر إنشاء هذه السدود على جهة واحدة من اليمن، بل انتشرت في طول اليمن وعرضها، إلا أنها كانت تكثر عند منتهيات الوديان الكثيرة حتى أنها بلغت بالمئات، وفي منطقة **يحصب** وحدها ثمانون سدًا. قال الشاعر اليماني:

وفي الربوة الخضراء من أرض يحصب

ثمانون سدًا تقذف الماء سائلاً

وبهذه التدابير الإصلاحية عمروا البلاد وأصبحت كلها جنة خضراء حتى أن الربع الخالي الذي هو الآن صحراء مجدبة كان عامرًا مخضرًا مورقًا كما نطقت بذلك الآثار والكتب، وأعظم هذه السدود فخامة وأكثرها فائدة هو سد مأرب الذي لا يزال ثلثه قائمًا إلى يومنا هذا.

التجارة:

إن موقع اليمن جعله بحكم طبيعته بلدًا تجاريًا، فهو نقطة توسط بين العالم القديم؛ فقربه من أفريقية والهند والعراق والشام جعل له أهمية كبيرة في التجارة القديمة، حيث كان المحور التجاري لهذه البلدان.

وقامت في اليمن عدة دول وممالك عربية ذات شأن وعظمة وحضارة نعرف منها حتى الآن: الدولة المعينية، الدولة **السبئية**، والدولة الحميرية، وكلها كانت دول فتح ومدنية وتجارة اتصلت بكثير من بلاد **المعمورة**[1]، **كما تبين من استنطاق الآثار والنقوش التي عثر عليها غلازر وهاليفي وغيرهما، وقد سلكوا طريق البر والبحر فمخرت سفنهم عباب البحر الأحمر والبحر المتوسط والمحيط الهندي، وعادت عليهم التجارة بالخير العميم ورفعت من شأن سبأ وعظمتها حتى أصبحت من أكبر مراكز التجارة في العالم**[2].

قال (بلينيوس) المؤرخ الروماني: «إن التبابعة ملوك اليمن عرفوا جميع ممالك أفريقية الشرقية وجزرها وكانت عليها سلطة، وكانوا يتجرون مع أهلها بالأفاويه والطيوب المختلفة»[3].

ومن هنا يظهر أنهم غمروا الأسواق العالمية بالتجارة اليمانية، واحتكروا أسواق أفريقية لتبقى مستعمرة لتجارتهم ومنتوجاتهم.

ومما يدل على عظمة هذه الدول العربية اليمانية أن الإمبراطورية الرومانية كانت تخطب ودها، وتحاول توثيق علاقاتها بالحميريين وتعقد

(١) العالم الإسلامي ص٤١ عمر رضا كحالة.
(٢) راجع الصفحة ٤٢ من العالم الإسلامي.
(٣) الرواد ص٩٣ وكذلك العالم الإسلامي ص٤٢.

معها ما يسمونه اليوم بأسمى المعاهدات الودية أو التجارية، فنظمت العلاقات التجارية بين الدولتين حفظًا لمصالح الرومان التجارية[١].

هذا قليل من كثير مما كانت عليه حضارة اليمانيين؛ لأن المقام مقام إيجاز.

عدد السكان:

لا يوجد إلى الآن إحصاء رسمي لعدد سكان اليمن، ولكن الخبراء يقدرون نفوس اليمن بسبعة ملايين.

واليمن بلاد خصبة عامرة من أقصى قرية في الجنوب إلى أقصاها في الشمال، وكثافة النفوس ظاهرة بانتشار القرى والقصبات على طول الطرق التي يقطعها المسافر، فالعين تقع في كل جهة على قرى الواحدة تلو الأخرى[٢]، وما يسمونه بالرحالة أو البدو لا وجود له في اليمن فالسكان كلهم حضر مستقرون منصرفون إلى أشغالهم الزراعية أو التجارية، وكثافة السكان هناك أكثر بكثير من بعض الأقطار العربية إذ يصيب كل كيلومتر مربع (١٧) نسمة[٣].

واليمن مستطيلة الشكل يبلغ متوسط طولها **١٢٥٠** كيلومترًا، ومتوسط عرضها **٤٠٠** كيلومترًا، وتبلغ مساحتها العمومية ما يقارب من **٥٠٠٠٠٠** كيلومترًا مربع.

---

(١) العالم الإسلامي ص٤٣.
(٢) جغرافية بلاد العرب، للعميد طه الهاشمي ص١٢٢.
(٣) المصدر نفسه.

الزراعة والإنتاج:

تقسم اليمن إلى ثلاث مناطق زراعية: قسم تهامة وتؤلف منطقة حارة وتصلح فيها زراعة النباتات التي تعيش في المناطق الحارة، وقسم الوديان أو الوهاد وتؤلف المنطقة المعتدلة، وقسم الجبال والنجود وتؤلف المنطقة الباردة.

أما تهامة فسهل واسع مستطيل الشكل قابل للحرث والزرع وذو خصب يقوى في بعض الأماكن لاسيما إذا جاءتها الأمطار وفاضت الأودية المنحدرة من الجبال بالسيول وسقى الزرع حقولهم فحينئذ ينمو الزرع والغرس نموًا عظيمًا، وتغزر محاصيل الدخن والذرة والسمسم والتبغ والنيلة والقطن والبطيخ والأشجار المثمرة وهي النخيل والموز والعمبة والليمون وغيرها[١]، ولخصوبة التربة في تهامة تغل البذرة الواحدة ثلاثة محاصيل في العام الواحد.

أما المنطقة المعتدلة فتربتها خصبة جدًا، يزرع فيها البن (القهوة) الذي لا مثيل له في العالم، وكذلك البرتقال والليمون والموز والأترنج والعمبة وقصب السكر، وكثير من الفواكه التي لم أشاهدها هنا كالخرمش (وتسمى في مصر القشطة)، وبعض الفواكه التي تعرف في الهند وغيرها.

وقسم الجبال له تربة غنية تصلح لزراعة نباتات المنطقة الباردة المعتدلة وهي كثيرة فمن الحبوب الحنطة والشعير والذرة بأنواعها والعدس والباقلاء واللوبيا والعتر (الباسلا) والخشخاش، ومن الفواكه العنب وهو أنواع عديدة تبلغ عشرين نوعًا، والمشمش والخوخ والكمثرى والتفاح والسفرجل والرمان والأجاص والليمون والأترنج والتين والصبير (الذي يسمى في اليمن بالتين

---

(١) المقتطف الجزء الثالث المجلد ٩٠ ص٣١٨ مارس سنة ١٩٣٧م، حديث عن اليمن للأستاذ أحمد وصفي زكريا.

التركي) والحبحب (الرقي) والخيار والجوز واللوز والتوت الأحمر، وكذلك الخضروات توجد بجميع أنواعها في السهل والجبل.

وأهم النباتات الاقتصادية في اليمن هي: البن، التبغ، والقطن، والكتان، وقصب السكر، والقنب، وشجر المطاط، والسمسم، والخردل، والتمر الهندي (الحومر)، وبعض نباتات الصباغة كالنيلة، والعصفر، والأفاويه كالفلفل، والزنجبيل، واللبان، والمر، والمصطكى، والصمغ، والكمون، والآنسون، والمواد العطرية الأخرى.

وهذا ما جعل اليمن من قديم الزمان سوقًا رائجة لهذه المواد يصدرونها إلى العالم المتمدن القديم.

والجبال والوديان تبقى طول السنة خضراء نضرة، وكذلك المزارع تكاد تكون هناك دائمًا خضراء، ففي حقل الحنطة ترى بالقرب من الزرع الذي نضج زرعًا حصد وزرعًا نما حديثًا وأخذ ينمو وأرضًا حرثت وأخرى أبدرت فكأنما المزرعة معمل للإنماء في كل وقت(١).

واليمن من الأقطار العربية التي تستغني عن استيراد أشياء كثيرة من الخارج؛ فالمنتوجات الوطنية تسد حاجات البلاد كلها تقريبًا، وقد تزيد بعض المنتوجات عن حاجاتهم كأنواع الحبوب وتصدر إلى خارج اليمن.

البـــن:

لأهمية هذا النبات الاقتصادي أفردت له هذه الكلمة المستقلة:

البن شجرة مباركة زراعته من أربح المزروعات في العالم إذ تدر على

(١) جغرافية بلاد العرب، للعميد طه الهاشمي ص١١٨.

زراعتها أرباحًا طائلة، وقد دخلت زراعة البن إلى اليمن منذ القرن الثامن[1] الهجري على يد بعض علماء اليمن ممن زاروا الحبشة وحملوا إلى اليمن حين عودتهم هذه البذرة المباركة فنمت في اليمن وجادت بأطيب الثمرات وطبقت شهرتها الآفاق حتى أن بعض تجار البن البرازيلي والحبشي يعمدون أحيانًا إلى مزج البن البرازيلي والحبشي بالبن اليماني وبيعه في الأسواق باسم البن اليماني.

والبن اليماني على أنواع أهمها: الصافي أو (المطري) نسبة إلى بلاد مطر وهو ويليه (الحيمي) فـ (البرعي) الذي يزرع في جبل برع، **فالريمي** من بلاد ريمة. وهو أهم صادرات اليمن وعليه تتوقف ثروتها؛ لأنه يصدر بكميات كبيرة إلى خارج وتقدر بـ (٥٠٠٠٠) طن تقريبًا، وتأتي اليمن في الدرجة الخامسة من البلدان المصدرة للبن في العالم وذلك حسب إحصاء سنة **١٩٣٦ - ١٩٣٧م**[2].

والحكومة اليمانية تهتم الآن بشأن البن اهتمامًا زائدًا ولاسيما بعد تأليف وزارة الاقتصاد التي أسندت إلى الأمير سيف الإسلام علي بن أمير المؤمنين، وتنتظر أن يتم أمر تأسيس مكتب تجاري عراقي في صنعاء؛ ليتبادل البلدان منتوجاتهما على أساس التعاون الاقتصادي بين الأقطار العربية.

التجارة الداخلية والخارجية:

تعتمد اليمن على نفسها في كل ما تحتاج إليه من مواد وأسباب العيش،

---

(١) راجع أنباء الزمن في أخبار اليمن.
(٢) انظر مجلة الكلية العربية الصادرة في القدس العدد الثالث وهو ترجمة مقال في البن للمستر شلتر.

وتحاول أن تسد حاجتها بما تنتجه الصناعة الوطنية فترى الأسواق اليمانية غاصة بالتجارة المحلية ماعدا بعض المواد التي تأتي إلى اليمن من الخارج كالسكر، والنفط، وبعض الأقمشة، والمواد الزجاجية. ومع هذا فاليمن من الأقطار التي تزيد صادراتها على وارداتها، وقل أن تجد قطرًا في العالم تقل وارداته عن صادراته، والمنتوجات الوطنية التي تصدرها اليمن هي: البن والجلود، والحبوب، وتشحن إلى شرقي أفريقيا، والصوف، والصبغ النيلي، والأفاويه.

والتجارة كلها بيد المواطنين ولا أثر للتجار الأجانب في اليمن إلا في الحديدة، حيث توجد هناك بعض الشركات الأجنبية كالشركة الايطالية، والانكليزية، والروسية، وكذلك بعض التجار الهنود. والأقمشة اليابانية أكثر رواجًا في الأسواق اليمانية؛ وهذا راجع إلى أن اليابان قلدت جميع المنتوجات الأوربية ونشرها بصورة مهولة فغزت الأسواق العالمية بأجمعها.

ولليمن صلات تجارية مع بعض الدول الأجنبية كإيطاليا وإنكلترا وروسيا وفرنسا؛ فتستورد من هذه البلدان بعض حاجياتها كالآلات، والسكر، والأقمشة، والنفط، وبعض الخردوات، كما أنها تصدر إليها البن، والجلود، والحبوب وغيرها.

والرسوم التي تتقاضاها الجمارك في اليمن قليلة جدًا وذلك مما يشجع التجارة الأجنبية على غزو الأسواق اليمانية وغمرها ببضائعها، وهذا بدون شك يعطل التجارة الوطنية ويقضي على الصناعات الموجودة في البلاد، وقدرها ٥٪ تقريبًا للواردات بصورة عامة، و٣٠٪ تقريبًا على الأقمشة الحريرية وبعض الكماليات. أما رسوم الصادرات فهي ٢,٥٪ تقريبًا، ولعل

حكومة جلالة مولانا الإمام أيده الله تلتفت إلى هذه النقطة الهامة فتزيد الرسوم الجمركية على البضائع الأجنبية، ولاسيما وهي على أبواب نهضة جبارة تحتاج إلى زيادة المبالغ المرصودة للجيش (الدفاع الوطني)، والمعارف، وترقية الصناعة والتجارة والزراعة والصحة العامة، وهذا كله يتطلب زيادة واردات الميزانية فمن الطبيعي أن تضطر اليمن قبل كل شيء إلى فرض الرسوم الزائدة على البضائع الأجنبية.



التقدم الاقتصادي والزراعي والتجاري في السنوات الأخيرة

لقد نشطت الحركة الاقتصادية في السنوات الأخيرة نشاطًا باهرًا، وتلخص هذه الحركة المحمودة في النقاط الآتية:

١- الصناعة:

اشتهرت اليمن من سالف الأزمان بالصناعة الجيدة والحياكة الفاخرة، فالبرد اليمانية والسيف اليماني غدت مضرب الأمثال، قال الخضري: «وأمهر من اشتغلوا بالصناعات هم أهل اليمن والحيرة ومشارف الشام وكلهم من عرب قحطان»[١].

وقد هبت الحكومة في السنين الأخيرة لإحياء الصناعة فأسست مصنعًا عظيمًا للملابس والأقمشة على اختلاف أنواعها منها المناشف والفانيلات القطنية والصوفية والطنافس الثمينة ومختلف الألبسة اليمانية، واليمانيون يشجعون مصنوعاتهم الوطنية ويقبلون عليها بشوق عظيم، كذلك أنشأت الحكومة بجوار هذا المصنع معملاً آخر للصابون، وقد نجح نجاحًا فائقًا حتى أنه زاحم الصابون الأجنبي في جودته ورخصه ورائحته، ومما يحسن ذكره أن الحكومة اليمانية بثت له الدعاية في مختلف أنحاء المدن ونشرت الإعلانات إلى الأهالي لتشجيع هذا المنتوج الوطني، وفعلاً فقد تقلص ظل الصابون الأجنبي واحتل الصابون اليماني مكانته، كما إن للحكومة عدة مناسج قديمة منذ ١٥ سنة تقريبًا، وهذه المناسج هي التي تجهز الجيش والمدارس بالملابس السنوية.

---

(١) تاريخ الخضري، الجزء الأول، ص١٧.

٢- الزراعة:

اهتمت الحكومة اليمانية في الآونة الأخيرة بترقية الشؤون الزراعية في اليمن، فاستقدمت في أول عام **١٩٣٦**م الزراعي الشهير الأستاذ أحمد وصفي زكريا، ففتح مدرسة زراعية في العاصمة، وغرس ما يقارب عشرة آلاف غرس من مختلف أشجار الفاكهة والزينة والأشجار الاقتصادية، وكلها جلبت من إيطاليا ومصر والشام وغرست في جهات كثيرة من اليمن، وقد صلح معظمها وآتت أكلها بنجاح.

كما أن حكومة اليمن طلبت في مطلع هذا العام (**١٩٣٩**م) إرسال لجنة فنية زراعية من الحكومات العربية الثلاث: العراق ومصر وسورية؛ لتقوم هذه اللجنة بكشف عام على جميع المناطق الزراعية في اليمن، وتقدم تقريرًا مفصلاً عن نتيجة كشفها، وقد أوفدت الحكومة العراقية الخبير الفني السيد درويش الحيدري، كما أن الخبير السوري لا يزال هناك، والمظنون أن الحكومة اليمانية ستكلمه بتأسيس مديرية زراعة عامة.

وقبل عدة سنوات قامت الحكومة بتوزيع بذور القطن على الفلاحين، وأوجبت زرعه في المناطق الصالحة، وقد جلبت أجود البذور من مصر وأمريكا ونجح النوع المسمى (**السكلاريدس**) نجاحًا مرضيًا في الوديان الواطئة كالحيمة، وفي الجوف والروضة، وتهتم الحكومة بزراعة القطن اهتمامًا كبيرًا وقد جلبت عدة محالج فنية من أمريكا.

ومن الحاصلات الاقتصادية التي تولي الحكومة عنايتها نحوها هو التبغ الذي يجود في بعض وديان اليمن، وأذكر أن الحكومة قبل ٦ سنوات تقريبًا أجبرت التجار على شراء التبغ الوطني وبيعه في الأسواق اليمانية بدل

الأجنبي ووزعت عليهم كميات كبيرة كل واحد حسب رأس ماله وثروته، ومن ذلك الوقت راج التبغ اليماني في الأسواق وكسد الأجنبي وقلت وارداته.

٣- التجارة وطرق المواصلات:

إن الحكومة تراقب حالة الأسواق باهتمام وتحاول إدخال التحسينات عليها، وقبل سنين قامت في اليمن شركة وطنية كبيرة تعضدها الحكومة وكان لها تأثير كبير على حالة السوق اليمانية حيث احتكرت أكثر البضائع بيدها، وقد تلاشت تلك الشركة وأسست اليوم مكانها شركة أخرى أعطتها الحكومة امتيازًا في استيراد بعض البضائع الأجنبية، وهذا عمل جليل إذ يضرب على أيدي الشركات الأجنبية التي تتلاعب بالتجارة في أسواق اليمن كيفما تشاء.

وطرق المواصلة في اليمن على نوعين برية وبحرية، فالبرية هي التي تسلكها السيارات بين مختلف المدن اليمانية المهمة، وقد مهدت تمهيدًا يسهل عليها السير فيها. والحقيقة أن لطرق المواصلة أهمية عظيمة على سير المملكة اقتصاديًا وسياسيًا فهي تقرب بين أطراف المملكة النائية، وتسهل سرعة الحركة، وقد شبهوها في المملكة كالشرايين في الجسم.

أما الطريق البحرية فلا تزال السفن الشراعية تجوب البحر الأحمر طولاً وعرضًا، وكانت الحكومة قد فكرت في حياة المرحوم سيف الإسلام محمد بن أمير المؤمنين في شراء بعض القطع البحرية التجارية للملاحة في حوض البحر الأحمر ولتكون نواة للأسطول اليماني، ولكن وفاة المرحوم الأمير سيف الإسلام محمد حالت دون تحقيق ذلك المشروع العظيم. ولعل

الحكومة اليمانية تفكر من جديد في تحقيق هذا المشروع الذي يترتب على تحقيقه رفع شأن اليمن ماديًا ومعنويًا وإنقاذ التجارة اليمنية من تلاعب السفن التجارية الأجنبية الصغيرة، خصوصًا وقد جاءت إشارة إلى هذا في المرسوم الإمامي الشريف القاضي بتأسيس وزارة للاقتصاد، إلى القراء الكرام نص هذا المرسوم الكريم وما فيه من دلالة على عظمة الهمة التي يوجهها جلالة مولانا الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن المعظم أيده الله في رفع مستوى بلاده الاقتصادي وإدخال الإصلاحات التي تعود على اليمن السعيدة بالنفع والخير والسعادة.

صورة المرسوم الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

«نظرًا لعزمنا بحول الله وقوته على تنفيذ الإصلاحات الضرورية لرفع شأن بلادنا وتحسين أحوال الشعب الكريم، وبما أن مصالح التجارة والزراعة والري والبيطرة والمعادن والأشغال العامة والمساحة والملاحة تستدعي العناية التامة والتنظيم الكامل لتعود على المملكة بالمنافع المرجوة منها قد أصدرنا إرادتنا الإمامية هذه بتأسيس وزارة الاقتصاد لتقوم بهذه الواجبات وتحقق كل الخدمات المنتظرة لهذه المصالح، والله الموفق والمعين، وحرر لتاريخه **٢٤** محرم سنة **١٣٥٨**هـ».



اليمن (أخبار الشهر)(١)

طلبت حكومة اليمن إلى حكومة العراق إرسال بعثة ثقافية لدراسة حاجة اليمن من ناحية التربية والتعليم ووافقت الحكومة العراقية على هذا الطلب.

اليمن البحث عن النفط(٢)

بدأت أعمال البحث في امتياز في اليمن مساحته عشرة آلاف من الأميال المربعة منح إلى شركة جون ميكون وهي من الشركات المستقلة في تكساس، ويشمل الامتياز مناطق برية وبحرية، وينص على مدة بحث أجلها خمس سنوات، وعلى مدة استغلال أجلها ثلاثون سنة ومن المصمم البدء بالحفر عاجلاً، وكانت الامتيازات في هذه البلاد وقد منحت في السابق إلى جماعة أمريكية وإلى شركة ويلمان الألمانية إلا أنها انسحبتا قبل البدء بالحفر.



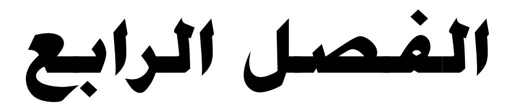
(١) مجلة القادسية، (النجف الأشرف)، العدد الأول، السنة الرابعة، حزيران ١٩٤٦م.
(٢) مجلة التجارة، مجلة اقتصادية تصدرها غرفة التجارة (بغداد)، الجزء الثاني، السنة الرابعة والعشرون، حزيران ١٩٦١م، ص٨٥.

أنباء اقتصادية من الوطن العربي
- الجمهورية العربية اليمنية[1] -

أعلن مدير عام بنك اليمن للتنمية والإنشاء بأن رأس مال البنك حتى نهاية العام الماضي ٤,٤٩٣,٣١٥ ريال، وبلغ الاحتياطي ٦٥٠,٠٠٠ ريال، والإيرادات الكلية ٧١٠,٤٦٠ ريال، والمجموع الكلي للودائع ٦,٤٣٦,٠٠٠ ريال مقارنة بـ ٣,٥٧٧,٩٢٣ ريال في نهاية عام ١٩٦٤م. علمًا بأن البنك يعمل حاليًا لزيادة استثماراته بالرغم من أنه يمتلك أسهمًا في ستة شركات بضمنها ٥١٪ من رأس مال شركة الوقود، و٢٥٪ من شركة التبغ، ٢٥٪ في شركة التجارة الخارجية، ويمتلك أسهمًا في شركة الكهرباء في الحديدة.



(١) المثنى بن حارثة الشيباني (بغداد)، صحيفة أسبوعية جامعة، العدد الثالث، السنة الأولى، ١٠ أيلول ١٩٦٣م، ص٢٠.



أحداث جنوبي اليمن
في الدوريات العراقية

العراق وجنوبي الجزيرة[1]

«إن النتائج الباهرة التي توصل إليها مجلس الجامعة العربية يعود أكبر الفضل فيها إلى موقف العراق المشرف، ولولا العراق لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه».

هذا تصريح أدلى به أحد أعضاء الوفد اليماني في مجلس الجامعة، وهو تصريح صادر عن شخص مسؤول فلا مجال لحمله محمل المجاملة، بل هو الواقع الذي لمسناه من العراق في ظروف شتى منذ تكوينه وهو يكتشف السياسة التي تتبعها حكومات العراق المتعاقبة دون أن تغير منها شيئًا.

وقد تعدت رعاية العراق إلى جيرانه البعيدين فشملهم قسط غير قليل من اهتمامه ورعايته فكانت بغداد محط بعوث علمية تنفق عليها وزارة المعارف بسخاء، وقد جاءت من إمارات الخليج وإمارات جنوب الجزيرة العربية، وكانت صنعاء مقرًا لبعثة عراقية جاهدت كثيرًا، وأنتجت آثارًا مباشرة ملموسة وأخرى سترى في المستقبل القريب.

والشعوب العربية في هذه الأنحاء من بلادها تئن وتشكو من عزلة فرضها عليها حكامها، ومن أوضاع داخلية لا تأتلف بتاتًا مع أحوال شعوب الأقطار العربية الأخرى، وقد بلغ من إهمال المسؤولين فيها إلى حد أن امتنعوا عن استغلال الصناعة والعلوم الحديثة في أبسط أشكالها وصورها،

---

(١) شيخان عبدالله، أحد أفراد الجالية اليمانية في العراق، مجلة عالم الغد، الجزءان ١٦، ١٧، السنة الأولى، ٢٣ شعبان، ١ آب ١٩٤٥م، ص٣٤.

فالمتجول في تلك الربوع لا يكاد يجد أثرًا من آثار المدنية الحديثة فلا مدارس كما يجب، ولا مؤسسات، أو طرقات معبدة، بل ولا مراكز لإسالة الماء النقي، أو لتزويد الكهرباء، وسيجد أيضًا بأن نظمها المالية والإدارية والاقتصادية خالية من أي تنظيم، مما أدى ذلك إلى نتائج غاية في القسوة، فكان الوباء وكانت المجاعة وذهب ضحيتها الألوف في السنوات الثلاث الأخيرة، وهي بعد ذلك في عزلة تامة حتى عن شقيقاتها في الشمال.

هذه الأوضاع المؤلمة هي التي أملت علينا نحن أبناء الجنوب المتصلين بالخارج أن نطالب الحكومات العربية وفي طليعتها العراق أن تسعى بما لديها وبما تتمتع به من مركز في مجلس الجامعة لإقناع المسؤولين هناك للأخذ بما لا يضرهم من أسباب المدنية الحديثة، وإفهامهم بأن السياسة التي أصروا على اتباعها لا تجر إلا إلى أسوأ النتائج الداخلية والخارجية، وأنها وإن لم تخالف نصوص الاتحاد العربي ولكنها تخالف روحه وأهدافه العامة في الصميم، بل تسبب اختلالاً غير محمود العواقب في حركة الاتحاد وانسجامها.

إننا نعيش في سنوات كلها إنشاء وتعمير وما الاتحاد العربي إلا بعض مظاهر الحركة التي تزداد سرعتها ويتسع نطاقها كلما مرت الأيام وبصورة قد تفوق التصور تتولاها وتشرف عليها الحكومات علاوة على الأفراد والمؤسسات الخاصة، ويزداد تدخل الحكومات في شؤون الشعوب الأخرى، وهذا مما يدعونا إلى مطالبة الحكومات العربية منفردة ومتجمعة بمضاعفة جهودها وتوسيع اختصاص مجلس الجامعة بحيث يتمكن من زيادة كفاءته في العمل إذا ما أردنا اللحاق بقافلة الشعوب، فالرأي العام العربي

الذي أدرك ما يجري في الأقطار القريبة والبعيدة من تطور سريع لا يطمع من الاتحاد بالكثير من الأعمال السياسية فقط، بل ويجب أن تشمل نواحي الاقتصاد والعلوم والمواصلات باعتبارها خطوات أولية لإيجاد ترابط أمتن وأقوى بين الشعوب العربية.

ويدرك العراق بانفراده دون بقية الدول العربية بمميزات خاصة ترجع أكثرها إلى سعة مرافقه الاقتصادية وإلى موقعه الجغرافي، وهذه المميزات هي التي حملت حكومات العراق الرشيدة على تخصيص جهد خاص لرعاية الشعوب العربية المختلفة وبذل تضحيات في هذا السبيل وهي نفسها التي حملتنا نحن أبناء الجنوب على أن نلتمس منه العون لتزويد حركة النهضة فيها وتوسيع مجال المساعدة إليها مجاراة للأوضاع العالمية واغتنامًا للظروف السياسية الحاضرة.

وإذا كانت أمريكة وفرنسا قد أنشأت مؤسسات ومدارس عدة في أنحاء الشرق الأوسط أغدقت عليها من مالها لأغراض عديدة منها نشر ثقافتها ومبادئها فكانت من بعض أسباب النهضة العربية فيه؛ فحري بالعراق أن يسعى لإقامة مؤسسات ومدارس نموذجية في جنوب الجزيرة خاصة لما هناك من مؤهلات عديدة تشجع القائمين بها على النجاح، وقد فعلت ذلك مصر في الحجاز فأقامت مدارس ومدت طرقات، وهذه المؤسسات التي قد لا تتعدى المدارس أو المستشفيات تكون مثالاً عمليًا حيًا لسكان الجنوب على فوائدها وتكون باعثة أو مكملة لحركة النهضة التي أشرف القلائل القائمون بها على اليأس والقنوط لقلة عددهم وضعف ما لديهم من وسائل.

لا مجال لإلصاق التهم، فليس بين العراق والشعوب العربية إلا ما بين

الأخ وأخيه من المودة والإخلاص، وهي علاقة تفرض على العراق أعباء قد تثقل كاهله ولكنها مما لابد منها لمن يريد تشييد بناء المستقبل، هذا إلى جانب النتائج العديدة الأخرى للعراق وسكان الجنوب حسب بل وللشعوب العربية والشرق الأوسط، أيضًا قد يرى فريق ما لمشروع كهذا من صعوبات دولية تمس علاقات العراق مع حلفائه.. وهؤلاء هم الذين لم يلاحظوا تطور العلاقات بين الدول بوجه عام وبين العراق وحلفائه بوجه خاص، فحكومات العراق الذين بشروا بمبادئ الحرية والمساواة وتعهدوا وعودًا ونفذوا تصريحاتها فيما يتعلق بقضية سورية ولبنان، كما أن موقف العراق الحازم تجاه فرنسا لن يجدوا في مشروع كهذا إلا تنفيذًا لتعهدات العراق في التبشير بتلك المبادئ، وتحضير لهدف من أهداف الجامعة العربية التي أعلن المسؤولون قبل شخصيات الحلفاء عطفهم عليها وتأييدهم لها.

عالم الغد: إننا نتفق والكاتب على أن جنوبي الجزيرة وخاصة اليمن، بلدنا العربي الشقيق، في معزل عن بقية الأقطار العربية، وهي عزلة فرضتها طبيعة موقعه الجغرافي.

ويجب أن تتظافر جهود الجامعة العربية لإخراج هذا البلد العربي من عزلته، والتعاون الوثيق معه، وبناء كيان اجتماعي حديث يتفق هو وتطورات العصر، ويقع هذا العبء الثقيل بالدرجة الأولى على حكومة العراق لما أبدت من مساعدة فعلية في كثير من الظروف والأحوال.



حضرموت تحتضر[1]

يقدر سكان حضرموت بما لا يقل عن ربع مليون نسمة مساحتها أكبر من الجزر البريطانية نفسها ذلك لأن أغلب بقاعها إما صحراوية أو غير آهلة بالناس لأسباب كثيرة أخرى، وقد كانت حضرموت ولا تزال إذا نظرنا إليها من الناحية الجغرافية والتاريخية قطعة من البلاد العربية السعيدة أي اليمن - إن صح أن تسمى اليوم (بالعربية السعيدة) - تحت حكم مولانا الإمام وأنجاله سيوف الإسلام.

بيد أن مطامع الرؤساء السلاطين واشتداد الخلافات والمنازعات الإقليمية والتعصب بين الطبقات جعل أهالي حضرموت يفكرون، إما في هجرها إلى الأبد وقد هاجر منها عشرات الألوف من أبنائها من قبل، أو الالتجاء إلى حكومة تحمي الأهالي من بعضهم البعض.

وكان المخلصون من أبنائها ينظرون إلى الملك عبدالعزيز بن سعود كمنقذ للجزيرة العربية كلها فتوجهوا إليه، وكان آخرون منهم يفضلون الإمام يحيى حميد الدين؛ لما بين البلدين من روابط قديمة ولكون الإمام من آل البيت، والسيادة في حضرموت للأشراف.

ولكن لا مولانا الإمام ولا سيد الجزيرة ابن سعود أبدى استعدادًا حتى للمفاوضة مع من تقدم إليها سرًا وعلانية، الحق أن كلاهما كان معذورًا،

---

(١) شرحبيل، مجلة عالم الغد، مجلة أسبوعية ثقافية جامعة، السنة الثانية، ١٥ كانون الثاني ١٩٤٧م، ص١٦.

فقد كان الملك السعودي في شغل شاغل في الحجاز ومؤامرات الحجاز، وكان مولانا الإمام أضعف من أن يحرك ساكنًا أمام الأسد البريطاني.

وهكذا اضطر الناس إلى الالتجاء إلى حكومة عدن البريطانية فكانت مفاوضات وكانت زيارات، وما هي إلا أشهر معدودات حتى غدت حضرموت محمية بريطانية يرفرف في عاصمتها علم أبناء السكسون.

واستطاعت الحكومة البريطانية - بواسطة وكيلها السياسي السابق المستر انجرامس - صديق حضرموت - كما كان يدعو نفسه - أن تعقد صلحًا بين القبائل المتباغضة المتقاتلة لمدة ثلاث سنين، ولكن الصلح لم يستمر أكثر من أشهر معدودة حتى عادت الأحوال إلى ما كانت عليه قبل مجيء الإنكليز، وبالرغم من أن النظام الجديد الذي يتبجح به الإنكليز في حضرموت فإن السلب والنهب والقتل والإيذاء كل هذه لا تزال موجودة في كل مكان في حضرموت، وشرعت الحكومة الإنكليزية في إنشاء منظمة لحكومتي المكلا وسيئون، ولكن هذه الإدارة الجديدة عقّدت مشاكل حضرموت وزادتها اضطرابًا.

وجاءت الحرب العالمية الثانية وفقد الحضارم في الشرق الأقصى مهاجرهم التجارية، وحاق بحضرموت من أقصاها إلى أقصاها قحط عام مات بسببه ربع السكان، بالرغم من الإسعاف الذي قامت به الحكومة البريطانية والمساعدات المادية التي وصلتها من بعض أبنائها في الخارج وذوي الأريحية من العرب المسلمين ولاسيما الحكومة المصرية الموقرة، ولا يزال كثيرون مصابين بشتى الأمراض والعلل، واضطر عدد كبير من أبنائها إلى مغادرتها هربًا من الهلاك جوعًا.

على أن حكومتي حضرموت القعيطية والكثيرية وهما الحكومتان التي تسير دفة الحكم فيها حكومة عدن الإنجليزية بواسطة وكيلها السياسي في المكلا لم تهتمّا بحالة الشعب الحضرمي في نكبته، بقدر ما اهتمتا بفرض الضرائب وإجبار الناس على الدفع، مما كان له أسوء الأثر في نفوس الأهالي فحدثت مناوشات بين بعض الأهالي والسلطات كادت تثير حربًا أهلية.

فلما رأى أحرار الحضارم هذه القسوة من حكومتيهما وتلك المخاتلة من حكومة بريطانية لم يسعهم إلا أن يقرروا مغادرة البلاد وهجرها إلى يوم الدين، وقد شرع بعضهم في مغادرتها فعلاً وسيلحق بهم آخرون، والحياة في حضرموت تتعقد يومًا عن يوم فهي تسير من سيء إلى أسوء.

وهكذا فإن حضرموت العربية المسلمة صائرة إلى الفناء المحقق عما قريب.



هذه حضرموت[1]

- ١ -

تنشر الصحف العراقية بين الحين والآخر معلومات مقتضبة عن الجزء الجنوبي من جزيرة العرب الذي تحاول السياسة الاستعمارية إسدال ستار حديدي عليه وإخضاعه إلى نفوذها بشتى الطرق، وهذه السياسة التي تسعى جادة في سيطرتها الكاملة على تلك المناطق الواسعة الغنية بالمعادن والخيرات الطبيعية الأخرى العظيمة الأهمية من حيث الموقع الاستراتيجي، بالنسبة لسياسة نفسها تحاول أن تنشر بين الملا العربي معلومات مغلوطة عن قصد للتقليل من أهمية تلك المناطق العربية الأصلية وإضعاف الاهتمام بها من قبل الرأي العام العربي.

لذلك نجد من الواجب توضيح حقيقة الحال في هذه البلاد شبه المجهولة والتي لا نعلم عنها مع الأسف الشديد إلا ما تبثه الدعاية البريطانية، مع أن هذه البلاد كانت ولم تزل موطن القبائل العربية المشهورة التي لعبت دورًا كبيرًا في تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده، ونحن إذ نسوق المعلومات التالية المستقاة من مختلف المصادر المهتمة بشؤون الجزء الجنوبي من بلادنا العربية فكلنا أمل ورجاء في إخراجها من ظلمة النسيان والإهمال إلى ضوء الحقيقة والمعرفة.

تقع حضرموت ما بين مسقط شرقًا، وعدن وصنعاء غربًا، ويحدها من

(١) الدكتور عبدالحميد الهلالي، مجلة البعث العربي (بغداد)، العدد التاسع، السنة الأولى، ١٥ نيسان ١٩٥٢م.

الشمال رمال نجد والربع الخالي، ومن الجنوب البحر العربي، مناخها قاري ولكنه صحي، يحكمها حاليًا السلطان **صالح بن غالب القعيطي** وهو من بيت عريق في النسب والملك، وقد تخرج في إحدى كليات الهند الحربية، ويعتبر السلطان من أعلام الفكر في حضرموت، وهو يتقن اللغة العربية، ويجيد اللغتين الإنكليزية والهندية إجادة تامة، كما أنه ملم إلمامًا كافيًا باللغتين الفرنسية والسواحلية (الحبشية).

وتتمتع حكومة حضرموت باستقلال ذاتي مقيد بالمعاهدة المعقودة مع الحكومة البريطانية عام ١٨٨١م التي بموجبها دخلت حضرموت في الحماية البريطانية، ومع أن الإنكليز لم يشترطوا مشاركة السلطان السلطة في دياره إلا أنهم اشترطوا بموجب تلك المعاهدة ألا تفاوض حضرموت الدول الأخرى في شأن من الشؤون، وقد استثنى من ذلك الشرط الأقطار العربية ولكن بصورة نظرية.

ومن الأمور الجديدة بالملاحظة في حضرموت مع ما فيها من تأخر ملحوظ فصل السلطات إلى تشريعية، وتنفيذية، وقضائية، كما هو الحال في البلاد المتقدمة، ويتحمل المسؤولية الأولى في إدارة شؤون الدولة موظف برتبة (سكرتير الدولة)، ويعادل هذا المنصب منصب رئيس الوزراء في البلدان الأخرى، ومن صلاحيات المجلس التشريعي (ويعرف في حضرموت بمجلس الشورى) سن القوانين وإقرارها قبل موافقة السلطان عليها وتنفيذها.

وجميع القوانين النافذة حاليًا في حضرموت مدنية مقتبسة من القوانين الأجنبية الحديثة عدا الأحوال الشخصية فتطبق عليها أحكام الشريعة الإسلامية.

وكانت حضرموت مقسمة إلى رئاسات كثيرة مستقلة غير خاضعة لإدارة

حكومة موحدة، أهمها سلطنة **الكثيري، ونهد وسيحوت والمهرة**، ومنها أيضًا (**وادي عمد، وآل تميم، ورخية، والعوامر، وآل جابر، وآل باجري، وبن سيف، وسيبان، ووادي يبعث، ونوّح، والمناهيل، والحموم، وبن مخاشن، والدّيّن، والصعير والمعاره.**

وقد فرضت مؤخرًا سيادة الحكومة القعيطية على هذه الرئاسات كلها، وأصبحت حضرموت بعد أن نفذت المعاهدة المعقودة بين القعيطية وسلطنة الكثيري إقليمًا واحدًا تابعة للدولة القعيطية التي تسمى حكومة **المكلا، والشحر، وحضرموت**، وبلغ مجموع سكانها (٨٠٠) ألف نسمة، مقسمين إلى قبائل عديدة أكبرها وأكثرها عددًا **حمير**، ومنهم **يافع، ونهد**، وقبائل **الحموم** من **آل الكلالي** أهمهم **بيت علي، وآل عقيل، وآل حميد، وقبيلة كندة** وأهم فروعها **الصيعر وآل باكثير، وبني هلال، وبني الحارثة، وآل يماني، وقبيلة همدان** وأهم فروعها **الكثيري، والعوامر، وآل جابر، وآل باجري، وبن سيف**، وهناك قبائل أخرى وأهمها **آل عمودي، آل باوزير، وآل نعيم، والمخاشن، والدّيّن، والمعارة.**

أما مدن الدول القعيطية فعديدة متباعدة بعضها عن بعض أهمها المكلا وهي عاصمة الدولة، ويبلغ مجموع سكانها خمسة وأربعين ألف نسمة، وتليها الشحر في السعة، ثم (**غيل باوزير) وشبام، وتريم، وسيئون، ودوعْن، والحامي، وحجر، وميفع وحبان، وقبرهود، ودمون (مدينة امرئ القيس).**

وقد أخذ في السنوات الأخيرة بتأسيس المدارس على النظم الحديثة، وإيفاد البعثات العلمية إلى مختلف الأقطار العربية وفي مقدمتها العراق ومصر وسوريا والسودان، كما أسست في مدينة المكلا مدرسة لتدريب

الضباط العسكريين والشرطة، وأنشأت دار للمعلمين ومدرسة ثانوية للبنين في مدينة غيل باوزير، والتعليم الأولي الإلزامي في بعض المناطق، والمدارس الابتدائية منتشرة في المدن والقرى المهمة.

كما أسست مدرسة لتدريب الموظفين على الشؤون الإدارية والقوانين المحلية، وحضرموت غنية بالآثار العتيقة وأبرز ما فيها أطلال المدن المندرسة ومقابر الملوك الماضين والكتابات الحميرية القديمة المنشورة على الأحجار الصلدة عدا بقايا آثار الحصون والقلاع والقصور التي تلعب في زمنها من الإتقان والجسامة ما يعجز عن الإتيان بمثله في الوقت الحاضر، إذ بلغ عدد طوابق بعضها العشرين طابقًا في حين لا يتجاوز ارتفاع أعظم بناية في حضرموت حاليًا تسع طوابق، ومن يتبع معالم تنظيم الري في الماضي الغابر لهذه المناطق يقر مندهشًا بعظم المقدرة الفنية والتنظيمية لسكان هذه البلاد ورسوخ أقدامهم في الحضارة والعمران التي قل أن يكون لها مثيل في تاريخ العالم.

وحضرموت بلاد زراعية تكثر فيها زراعة النخيل وجوز الهند، وتنمو في بقاعها مختلف أنواع الحبوب والتبغ وبعض أنواع الفواكه، وتجمع من جبالها اللبان والصبر والمر.

ولم يبذل الحضارمة حتى قبل الحرب العالمية الأخيرة جهودًا مذكورة لتنشيط الزراعة في بلادهم لاعتمادهم على التجارة التي تدر عليهم أرباحًا طائلة، فقد تجاوز معدل ما كان يرسله التجار الحضارمة المقيمون بإندونسيا إلى ذويهم في حضرموت قبل الحرب الأخيرة ستة ملايين من الجنيهات في السنة الواحدة. ولكن بالنظر لظروف الحرب وما رافقها وتسبب عنها من

صعاب فقد ضعف إن لم نقل انقطع هذا المورد عن سكان حضرموت، الأمر الذي أدى إلى العوز والفاقة في بعض المناطق وأدى إلى الاهتمام بالزراعة وتنشيطها لذلك أقيمت عدة سدود لخزن المياه وفتحت الجداول للإرواء وحفر الآبار الارتوازية في مختلف الأنحاء، وشجعت الحكومة المتشبثين من السكان على استغلال الأراضي الزراعية بتأسيس شركات مساهمة عامة أخذت بوجه خاص في استثمار أراضي (مولى ليمه) المهمة الواقعة في منطقة الحامي من لواء الشحر.

والقطر الحضرمي غني بالمعادن وأهمها النفط، وقد أخذت بريطانيا تولي هذه المناطق عناية خاصة للبحث عنه واستغلاله الثابت، إن النفط الحضرمي سيكون أغزر ما عرف في الجزيرة العربية حتى الآن، ومن دلائل عظم اهتمام بريطانيا بذلك جسامة المساحة التي تنقب فيها، وكثرة المطارات التي شيدتها والستار الحديدي المتين الذي أسدلته على تلك المناطق وإنشاء مصفى النفط الحديث في منطقة عدن القديمة. أما المعادن الأخرى الموجودة بكثرة فهي الملح الصخري والمنغنيز والحديد.

ويعتبر الحضارمة من أنشط التجار على سواحل المحيط الهندي، وقد انتشروا في المناطق الواقعة على هذا المحيط من مدغشقر وشرقي أفريقيا إلى الهند والملايو وجاوه وأستراليا واليابان، ويستخدم التجار الحضارمة في أغلب شؤون النقل السفن الحضرمية البحرية التي يملكون منها ما يزيد على ١٠٠٠ سفينة بين بخارية وشراعية.

وأهم ما يصدر من حضرموت السمك والتبغ والعسل والموالح (نومي

البصرة) واللبان، ولابد من اختتام هذا البحث الموجز عن حضرموت من التطرق إلى المحميات التسع التي كثير ما وردت أخبارها في الصحف بين حين وآخر، والمحميات التسع مناطق عربية حميمة، وكانت من مناطق المملكة اليمنية، وتعد من أخصب الأراضي العربية الجنوبية؛ ولذلك أخذت بريطانيا توسع نفوذها تدريجيًا هناك مما جعلها في خلاف مستمر مع حكومة اليمن، وكثيرًا ما أغارت الجيوش اليمانية واسترجعت بعضها عنوة وقد تقابلها بريطانيا بالمثل مستخدمة الطائرات والوسائل العسكرية الأخرى لإعادة ما فقدته والسيطرة على مناطق جديدة إذا كانت الظروف مواتية، ولذلك لم ينطبق لفظ المحميات على حقيقة عدد هذه المحميات إذ يقل عددها حينًا ويزيد حينًا آخر حسب الظروف، ويضم لفظ المحميات التسع في الوقت الحاضر إحدى عشرة منطقة هي (**لحج**، **وأبين**، **والحواشب**، **والصبيحة**، **والشعيب**، **والقطيب**، **والضالع ويافع العليا**، **ويافع السفلى**، **والعوالق العليا**، **والعوالق السفلى**).

وأهمها **لحج** ويحكمها **السلطان العبدلي**، ولم تدخل حضرموت ضمن هذه المحميات في يوم من الأيام كما لم تكن موضع نقاش أو خلاف ما بين اليمن وبريطانيا، وقد دارت في الأيام الأخيرة مباحثات بين بريطانيا والسلطان القعيطي غرضها توحيد المحميات المذكورة سابقًا وضمها إلى سلطته المكلا وشحر وحضرموت.



هذه حضرموت[1]

- ٢ -

نشرنا في الجزء التاسع من هذه المجلة مقالاً للدكتور عبدالحميد الهلالي بعنوان هذه حضرموت، وقد جاءنا من الأستاذ عقيل بن علي مراقب بعثة حضرموت الأهلية في دمشق هذا التعليق القيم ننشره شاكرين. (المحرر)

لقد اطلعنا في مجلة البعث العربي الصادر في ١٥ نيسان ١٩٥٢م على مقال لكم تحت عنوان (هذه حضرموت) قدمتم به الشمال الغربي لهذا القطر المنسي من جنوب جزيرة العرب، وإذا كان أداء الواجب القومي لا يحتاج إلى إسداء الشكر عند أمثالكم في الطليعة في حركة القومية العربية لبناء وحدتها فإنني لا أستطيع أن أكبت عاطفة تقدير هائلة تجاه اهتمامكم بالجنوب العربي وقضيته، في الوقت الذي تتآمر على هذا الجزء الغالي من صميم الوطن العربي قوى الشر والطغيان من الاستعمار وذنبه الإقطاع في قمع شعوره القومي العام، وتشتت طاقته في جحور الإقليميات الضيقة وترسيخ النزعات القبلية المقيتة واستغلالها أبشع استغلال.

والحقيقة أن الجنوب العربي بما تسدله السياسة الاستعمارية على مآسيه من ستار حديدي تضطرب حوله الدعايات المضللة والتلاعب في سبيل مصالحها حتى بالحقائق الاجتماعية والتاريخية، كل ذلك يجعل الباحث في

---

(١) عقيل بن علي (دمشق)، مجلة البعث العربي، العدد الحادي عشر، السنة الأولى ١٥ مارس ١٩٥٢م، ص١٢-١٤.

شؤونه يواجه شيئًا من الصعوبة في استخلاص الحقائق الموضوعية المجردة والخروج بها من اعتباراتها المحلية الضيقة إلى حيث يجب أن تكون ذات مفهوم قومي واسع، ففي الجنوب العربي إمارات إقطاعية في كل منها مستشار بريطاني يسعى بينها بالتفرقة، ويطمع كلاً منها بالخداع وبالمناورات المغرضة في الاستيلاء على الأخرى، وفي هذا الجنوب شعور إقليمي وقبلي رسخه الاستعمار بين إماراتها إلى حد يشعرها بالعداء بين بعضها، وبالاشمئزاز من مجرد ذكر الوحدة القومية مع اليمن كخطوة إلى الوحدة العربية الكبرى، وفي الجنوب الإنكليز يمعنون في التغرير واستغلال البساطة في الأمراء والأهالي منهم لحل مشاكلهم على الحدود مع اليمن، يهددونها في مناورة خلابة بإقامة دولة من الإمارات، ومن أجل تنفيذ مآربهم في الإمارات يتحيزون لهذه ويضربون بها الأخرى، حتى إذا استقام لهم أمير وجعل من نفسه أداة طيعة للتنكيل بالشعب في سبيل توطيد مصالحهم قاموا بدعايات للتغطية على أعمالهم الإرهابية في هذه الإمارة بذكر المشاريع الكذابة، والإصلاحات القائمة، على حين أنهم يتهمون أميرًا آخر بأسوء التهم كما هو الحال في حوادث الجنوب الأخيرة، والنتيجة من كل هذا تتلخص في ترسيخ الحكم الإقطاعي وعقد اتفاقيات البترول وإبقاء الشعب في هذه الإمارات على حاله السيئة في التفرقة والجهل والمرض والجوع.

ومن هنا كان عمل الباحث العربي في شؤون الجنوب شاقًا؛ لأن أهم ما يتوجه إليه هو تمحيص المصادر التي يرجع إليها والاطمئنان إلى خلوها من العنعنة القبلية والدعايات المغرضة التي وضعت لخدمة الاستعمار معاكسة وجهات النظر الوطنية في نظرتها إلى هؤلاء الحكام المارقين وفي

مصالحها إلى هناك تغطيات مساوئ الاستعمار والإقطاع في وقت واحد.

وقد حوى مقالكم الكثير من الحقائق إلا من نقاط رأيت أن ألفت نظركم إليها معتبرًا حرصكم على موضوعية البحث وخدمة الجنوب العربي من ناحية قومية بحتة.

(١) أخذتم من المصادر التي استندتم إليها في مقالكم: إن الإنكليز لم يشترطوا مشاركة السلطان القعيطي السلطة في دياره بناء على المعاهدة المعقودة مع الحكومة البريطانية عام ١٨٨١م، والحقيقة أن الحاكم الفعلي لحضرموت هو مستشار بريطاني.

وقد تلت معاهدة ١٨٨١م معاهدتان إحداهما معاهدة عدن ١٩١٨م التي اشتركت في توقيعها أيضًا الإمارة الكثيرية، والأخرى المعاهدة الأخيرة التي حصل وفقها التدخل الفعلي المباشر في حضرموت عام ١٩٣٥م، ورضي بموجبها كل من الأميرين القعيطي والكثيري بإقامة مستشار بريطاني في إمارتيهما بعد أن تعهدا بالاستماع إلى نصائحه.

(٢) وجاء من الأمور الجديرة بالملاحظة في حضرموت فصل السلطات الثلاث، والحقيقة تخالف هذا ؛لأن مجلس الدولة (وليس مجلس الشورى كما ورد في المقال) إنما يتألف من رجال الحكومة وكبار الموظفين وثلاثة أو أربعة من المحاسبين المعنيين، وبرئاسة السلطان والمستشار، ولست بحاجة إلى القول بأن هذا المجلس أداة طيعة في يد المستشار البريطاني.

أما استقلال القضاء فيكفي أن أذكر لكم بخصوصه أن المحكمة التي تشكلت في المكلا لمحاكمة رجال الحزب الوطني الذين عارضوا في استخدام سكرتير الدولة الجديد من السودان، لم تسمح لهم بالدفاع عن

أنفسهم، وأصدرت أحكامها عليهم بالسجن، حيث لا يزالون حتى الآن في ظلام سجن الثورة إحدى ضواحي المكلا.

(٣) ويظهر أن المصدر الذي اعتمدتم عليه فيما يختص بالتقسيمات الإقطاعية السياسية في حضرموت لم يبحث الواقع من حيث هو، هذا إن لم يخل من هوىً حزبي خاص، فقد قال هذا المصدر: إن الحكومة القعيطية قد فرضت سيادتها على إقليم حضرموت، وبذلك أصبح الإقليم كله تابعًا لها، والحقيقة أن وحدة حضرموت هي أمنية الشعب لا الحكومة التي تعارض هذه الأمنية ولكن الواقع غير ذلك.

ففي الداخل من حضرموت توجد الإمارة الكثيرية ذات التاريخ الوطني العريق في حكم حضرموت منذ عام ٧٨٦هـ إلى الآن لم ترتبط بالإمارة القعيطية بعلاقة اتحاد واندماج، وعاصمتها **سيئون**، وتلحق بها الألوية الثلاثة بمدنها الكبرى **تريم**، **والغرفة**، **وغيل بن يمين**.

أما وحدة حضرموت فقد نادت بها الطليعة المثقفة في حضرموت منذ خمس سنوات وجعلت أساسها التمثيل الشعبي المحض، ولكن الحركة حوربت من الطرفين: الإنكليز الذين خشوا خطرها الشعبي، والإمارتين اللتين أرادت كل منها أن تكون في مصالحها وأن تقوم على أساس قبلي، وبذلك فشلت الحركة مؤقتًا وشرد دعاتها، وقد حلت محلها الآن حركة اتحاد الجنوب التي استعطبت في عدن، والتي عطل الإنكليز منذ شهر جميع صحفها (النهضة)، (الشباب)، (البعث)، (الأخبار).

(٤) يقرر المصدر الذي رجعتم إليه في مقالكم لم تكن في يوم من الأيام موضع نقاش أو خلاف ما بين اليمن وبريطانيا، والحقيقة خلاف هذا

إذ الواقع أن اليمن ظلت تعتبر الجزء الجنوبي من اليمن جزءًا طبيعيًا لا يتجزأ منها، وحضرموت معروفة من القديم أنها مخلاف من مخاليف اليمن، ولو رجعتم إلى معاهدة **١٩٣٤**م المعقودة بين اليمن وبريطانيا والتي تدعى بمعاهدة (بقاء الأوضاع كما هي) للاحظتم أن الإمام وافق على ألا يقدم طلبًا خاصًا بمحمية عدن لمدة **٤٠** سنة على شريطة أن تبقى الإدارة في المناطق الجنوبية التي أحلتها جنوده في ذلك الوقت ومضافًا إليها **يافع والعوالق ولحج** وحضرموت بيد أمرائها وعدم تدخل كل من الطرفين في شؤونها، أما من ناحية الواقع التاريخي.

أما من ناحية الهدف القومي فأنتم تلحظون أن الفكرة التي تحاول ألا توجد علاقة بين اليمن وإمارة من إمارات الجنوب إنما هي فكرة انفصالية، تخدم مآرب الاستعمار قبل مصلحة الإقطاع، ونحن بالرغم من تأخر الأوضاع في اليمن وفساد الحكم القائم إنما ننظر إلى قضية هذه العلاقة من وجهة نظر قومية عالية، ونعني أن تقوم الوحدة بين أجزاء اليمن على أساس شعبي، وفي ظل نظام دستوري خطوة من خطوات الوحدة العربية.

هذه أهم الملاحظات على المقال أقدمها إليكم ويقيني أنكم بتطبيقكم لها على الحوادث الأخيرة الغامضة في الجنوب العربي ستدركون أن السلطة في حضرموت وفي الجنوب العربي جادة في تشويه الحقائق وفي إخراج مصادر لوصف الحالة لا يطمأن إليها كل ذلك للتغطية في أعمالها وتدابيرها الاستعمارية القائمة على قدم وساق في البحث عن البترول وإنشاء المطارات الحربية وتأجير الضمائر الرخيصة لقمع الحركات الشعبية ثم تغطيتها بالدعايات الكذابة.

حضرموت اليوم[1]

ومن الحضارمة من يلفظها (حضرموت) مضمومة الميم بدلاً من فتحها وهي عند صاحب الكتاب من المركبات المزجية نحوًا، ويبدو أن هذا التركيب أطمع خلفاءه من بعده أن يداعبوها فيما ذهبوا إليه من أنحاء أعرابية، يوقعونها على صدرها تارة، وفوق عجزها تارة، وقد يقيدونها أن تنصرف تارة أخرى.

وهذه التسمية باسم يوحي بانقباض الصدور، هل أتاكم حديثها؟ أما تذكرنا بالموت الذي نفر منه وهو ملاقينا؟ حين كانت فيما غير تدعى بالأحقاف، حيث أنذر أخو عاد قومه، وإني لتارك الإجابة لكتب التاريخ القديمة صدقت فيما تجيب أو كانت من الكاذبين، وهي تحدثنا بصدد هذه التسمية التي اتخذت مني مادة طريفة لدعابة المداعبين الظرفاء من أخواني المقتدرين حديثًا أزعم أنه لا يكاد يخلو من ذبذبة واضطراب، ولكنه جملة وتفصيلاً يردها إلى سبب من بضعه أسباب.

وتصوير علة هذه التسمية أن **عامر بن قحطان** الذي يرتفع نسبه إلى حمير كان مشغوفًا بالبطش الشديد، مؤثرًا سفك الدماء فيما يخوض من معارك غير مترفق في جز الرؤوس، وإراقة الدماء، فكان الناس إذا ترامى إلى أسماعهم مقدمه رفعوا من أصواتهم خائفين وجلين ينادي بعضهم بعضًا حضرموت!!

---

(١) عمر باوزير، مدرس بكلية الشريعة، مجلة البعث العربي (بغداد)، الجزءان الرابع عشر والخامس عشر، السنة الأولى، ١٥ تموز ١٩٥٢م، ص٢٠-٢٤.

وباندراج الزمن وانطواء العهود سكنت الضاد من (حضر) بعد فتحها فأمست حضرموت، على أن بعض المؤرخين القدماء يعدها مخلافًا من مخاليف اليمن.

تلكم نبذة سقتها عن ذلك الإقليم من الجانب اللفظي تحويرًا، أو تطويرًا، أو تعليلاً، وأجد البحث يدعوني أن أزجي إليكم نبذة أخرى عن موقعها الجغرافي بغية أن أقربها من الأذهان.

تقع حضرموت من سطح الكرة الأرضية على مبعدة خمس عشر درجة عرضًا شمال خط الاستواء، وخمسين درجة طولاً شرقي "قرينتش"، ويحدها من الشمال الربع الخالي، كما يحدها من الجنوب البحر العربي، أما من الشرق فيحدها (ظفار) المضروب بها المثل (من دخل ظفار حمر)، كما يحدها غربًا محمية عدن، وهي كما نعلم ذلكم الجزء المبتور من أمة اليمن السعيدة أو الشقية، لست أدري فقد تكون سعيدة بشقائها ألم يقل المتنبي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم؟

أما مساحة حضرموت فتبلغ نحوًا من (١٠,٠٠٠) ميل مربع، أو قرابة (١٢٧,٥٠٠) كيلو متر مربع. ومن عجب أن كتب الجغرافيا هي في معرض التحدث عن هذا القطر لا تسخو عليه واصفة بأكثر من أنه إقليم قاحل ماحل!!

مع أن حضرموت - ومعذرة إلى القارئ فليس هذا دفاعًا عنها - ذات وديان خصبة، ومجالي خضر، ونصيب من خيرات إلا لما قامت في ربوعها قديمًا حضارة زاهرة رسخت أقدامها في هضابها المترامية، وقبل أن نمس بما مست به من تغيرات مناخية يرجعها المؤرخ الروماني إلى القرن السادس

المسيحي تقريبًا.

وحضرموت فوق هذا غنية بما كمن في أحشائها من آثار ذات قيمة وثروات معدنية كشفت عنها في أعقاب الحرب الكونية الثانية مجاهر الراسخين في علم طبقات الأرض، ونفذت إليها أبصار الواغلين في مفاوزها.

ولقد عانت حضرموت في أغلب أطوارها التاريخية أوزار الحروب بين سكانها، وأوذيت أذى كبيرًا في حرثها ونسلها وفقدت أمنها وطمأنينتها وقوت أو هجرت بعض مناطقها من جراء بغي القبائل بعضها على بعض.

وقد تطاولت هذه القلاقل بين السكان جنبًا من الدهر أمسى في تاريخها مذكورًا ثم كانت النهاية أو خاتمة المطاف أن شطرت حضرموت شطرين اثنين: القسم الساحلي أو الجزء الأعلى منها وهو يضم **الشحر** فيما يضم. والشحر معناه لغة: الميناء، وقد تردد ذكره في بطون التواريخ القديمة لخطورته وهو يقع على ساحل المحيط العربي، وينطوي تحت هذا الجزء أيضًا (المكلا) ومعناه الميناء كذلك، وقد جاء هذا الأخير في الشحر فقضى عليه ملاحة أو كاد (المكلا) اليوم أهم موانئ حضرموت الساحلية، وفوق سفح جبل شامخ يطل عليه تربض مدينة المكلا عاصمة الدولة القعيطية الحاكمة للقسم الأعلى من حضرموت مع بعض ألوية أخر تتغلغل في أعماق الداخل، وسلطان هذا الجزء من ذياكم الإقليم صاحب العظمة **صالح بن غالب القعيطي**، ونظام الحكم في هذه الأسرة وراثي بعد تعديل طرأ عليه أخيرًا وولي عهد السلطان الحالي نجله **الأمير عوض بن صالح**، وبهذه

السلطنة في إدارة سياسة الجزء التابع نظم حديثة أدخلت في أعقاب الحرب العالمية الثانية تستمد نفوذها من المرجع الأعلى وهو ما يسمونه هناك بمجلس الدولة المؤلف من سبعة عشر عضوًا ويرأسه عظمة السلطان نفسه، ومن أعضائه السكرتير وهو بمثابة رئيس الحكومة، ومستشار إنجليزي مقيم.

أما أعضاء هذا المجلس الآخرون منهم من وجوه البلاد وأعيانها حيث ينتخبون انتخابًا.

وفي الجملة تتشكل السلطنة القعيطية إداريًا من ألوية خمسة لكل لواء أنظمته وتوابعه وملحقاته، وذلكم ما يمس القسم الساحلي أو الجزء الأعلى من حضرموت صورته مقتضبًا.

أما الشطر الداخلي منها فتحكمه سلطنة أخرى هي السلطنة الكثيرية، وهذه لها مجلس دولة أيضًا بيد أنه يتكون من أعضاء ستة فقط، ثلاثة منهم رسميون هم عظمة السلطان نفسه **الحسين بن منصور** وولي عهده، وثالث الثلاثة المستشار الإنجليزي المقيم، ولهذه الحكومة أو السلطة خط أيضًا من نظام إداري حديث غير أن ألويتها لا تعدو الثلاثة عدًّا، بضمنها لواء (تريم) ولواء (سيئون) والأخيرة هي عاصمة السلطنة الكثيرية.

ولهاتين المدينتين شهرة واسعة في القديم وأحسبهما مازالتا تحتفظان بها عمرانًا وحضارة وعلمًا، وبخاصة في نواحي الدراسات الإسلامية والدينية، ونحن إذ لم نحط علمًا بما يسير فيهما من حياة اليوم بل بما يجري في جوانب حضرموت كلها تمرد ذلك على ما يبدو لي عزلة غرقت فيها البلاد إلى الأذقان.

ثم ماذا؟ ثم هاكم شيئًا من حياة القضاء والتشريع في ذلك الإقليم، إن

القضاء في ربوع الأحقاف مستمد من الشريعة الإسلامية السمحة نصًا وروحًا على حد تعبير رجال القانون وفقًا لمذهب الإمام الشافعي رحمه الله، على أن لحضرموت بعض المحاكم المدنية وقد أنشئت حديثًا ووظيفتها أن تصدر مراسيم متى دعت الحاجة إليها، ولكن هذا الضرب من المحاكم لا يكاد يذكر حالاً في حين المحاكم الشرعية الموزعة في ألوية السلطنتين داخل حضرموت وعلى سواحلها.

وليس من شك أن هذه النظم الحديثة التي ظفرت بها حضرموت اليوم إداريًا قد أشاعت في جوانبها أطيافًا من السكينة والاطمئنان وأذاقت الناس من بعض خوفهم أمنًا.

وأحسب مناسبًا بعد هذا العرض الخاطف عن ذلك الإقليم جغرافيًا وإداريًا وتشريعيًا أن أذكر شيئًا عن ثروته الطبيعية، وإن كنت أحس بشيء من حرج هنا لقلة بضاعتي فيما أعرض قلتها فيما عرضت إذ كل ما تخرجه أرضه وتنميه تربته ما عليه اعتماد الحياة الرئيس لا يعدو الذرة والتمر الذي يكثر نخيله في أوديته وإن له لمكانة في نفوس الحضارم تكاد تصل مرتبة القداسة إذ ساغ هذا التعبير.

وفي هذا الشطر الساحلي في حضرموت يزرع (التنباك) وإنه لمن النوع الجيد حقًا، ثم يصدر إلى الخارج شأن غيره من صادرات أخرى ويكثر على شطآن الساحل السمك أيضًا تختلف أنواعه وما كان أكثر من تقذف منه الأوذى فيتراكم بعضه فوق بعض حتى أمسى مألوفًا عند القوم اتخاذه ضربًا من ضروب السماد الزراعية!!.

بيد أنه يخيل إلي أن الوعي الاقتصادي اليوم قد استيقظ في ذهن

الحضرمي إلا لما أنشأ بعض رجال المال هنالك شركة وطنية لاستغلال هذه الثروة وقد كانت مضاعة أو في حكم المضاع.

وإذا بات حرمان حضرموت من الثروة النباتية لقلة روافدها وشحة مياهها فإن الله قد نفحها بثروة أخرى أودعها أحشاءها وبخاصة في مناطقها الساحلية حيث يوجد قرابة خمسين نوعًا معدنيًا ذكرتها لنا تقارير الخبراء الدقيقة عنه وقادتهم إلى حضرموت دارسين منقبين باحثين وإنها لمعادن جد هامة نذكر منها على سبيل المثال الحديد والنحاس والشب والفحم الحجري والكحل والقار. ولقد كشف الكاشفون في الآونة الأخيرة عن حقول ثروة للبترول في إحدى مناطقها وتدعى **شبوة** فكان أن أثار هذا الكشف زوبعة في سياسة حضرموت واليمن من جهة وبريطانية من جهة أخرى.

وأزعم أن هذه الثروات الدفينة في أعماق حضرموت اليوم هي التي أغرت الأوربيين فجاب ذلك الإقليم جوابون من الألمان، والإنكليز، والهولنديين، ولو لم بث وراء الأكمة ما وراءها كما يقولون لما قذف هؤلاء وأمثال هؤلاء بأنفسهم في أهوال المجاهل تحف بها الأخطار من جميع أقطارها، فكان من مرتاديها الهولنديين **المستر فان درميلن** يوم أن بعثته حكومته ربيع **١٩٣٦**م ليدرس حضرموت عن كثب ناظرًا للرابطة الوثيقة بين إندونيسيا والحضارمة ثم أثمرت رحلته هذه بأن وضع كتابًا قيمًا وسع انطباعاته ومشاهداته هناك ولعل ما أخفته حقائبه يوم آب من رحلته كان أجل قيمة وأكثر خطرًا.

ولكن الإنسان يقدر في حياته وكثيرًا ما ضحكت من تقديره الأقدار.

ثم قضت على آثار هذا السائح المسز (فريا ستارك) الإنكليزية وقد ظلت تتردد على حضرموت زمنًا، ثم وضعت هي الأخرى ثلاثة كتب عن

جولاتها، كما ألف المستر (**انجرامس**) كتابًا آخر بعد مقامه بحضرموت مستشارًا بضع سنين.

ومن عجب أو أسف أو ألم أن أبناء عمومتنا يكاد بعضهم يجهل موقع حضرموت في أطلس كوكبنا الأرضي ثم ... ثم إليكم شيئًا عن حياة المواصلات في ذياك الإقليم وهي وإن كانت لا تزال في طور بدائي إلا أنها تطوي كثيرًا من بقاعه، وحضرموت من هذه الناحية بل من نواحي أخرى أسعد حالاً موازنين بينها وبين أخوتها المحميات الجنوبية، نعم كانت وسائل النقل إلى عهد غير بعيد هي الوسائل المألوفة قدمًا غير أن التطور الحديث وجد سبيله إلى حضرموت اليوم فأصابها.

إذ شقت طرق في كثير من مناطقها ومهدت دروب وأصلحت عتاب لم تكن لتنقطع في الماضي إلا بشق الأنفس، ومهما يكن في شيء فقد ظفرت حضرموت اليوم بنصيب من وسائط النقل الحديثة، وأن تعجب ما عجب لما أنشئ فيها من مطارات تربطها بمدينة عدن من جهة، وتصلها بأطراف من الكون في لمحات من عمر الزمان قصار.

وبعد فلعل من الخير أن أتناول الحركة العلمية والأدبية غير موغل في طيات الماضي منتزعًا من أعماقه صورًا تمثل عصور حضرموت الإسلامية زاهية بعلمائها مزهوة بقضائها.

وما أظن التاريخ يضيق علينا إذا ما استقيناه بجد عنهم يتولون مناصب القضاء وينظرون فيما يدلي إليهم من شؤون الفتيا في كثير من الأقطار الإسلامية، وبحسبي الوقوف عند هاتين الحركتين في حضرموت اليوم ومدى

حظها من نعمتها.

ظهرت في هذا الإقليم بشطريه طلائع من يقظة، فكان أن أسست مجموعة من المدارس العصرية لا بأس بها حكومية وأهلية ما بين ابتدائية ومتوسطة وثانوية تضم الجنسين إناثًا وذكرانًا، ثم تتابعت البعوث العلمية ربيعًا بعد ربيع متجهة إلى مصر حينًا، وإلى الشام حينًا، وإلى العراق أحيانًا، وهذه البعثات تدرس اليوم مكفولة النفقات من فضل تسبغه عليها حكومات الأقطار العربية، وإنه لصنيع جميل عسى أن تحفظه حضرموت لذويه فيما تستقبل من الأيام.

أما المشرفون على سياسة التربية، أو القائمون على إدارة المعارف والتعليم هناك فإنهم يستقدمون غالبًا من خارج حضرموت، وجل هؤلاء المربين من السودان.

ولحضرموت سرٌ لا ترقى إليه الأفهام في صدود تبديه عن الإفادة من النابهين من أبنائها، وقد وفقوا في تحصيلهم في معاهد الأقطار العربية، فكان أن رضوا بالإقامة حيث أكملوا تحصيلهم، منهم بمصر، ومنهم في العراق وبالحجاز، ومنهم في قرى حلب، معتذرين إلى الشاعر القديم، وقد تصرفنا في قوله استجابة لمعان تداعت في الصدر وأنا أسوق الحديث.

وحركة حضرموت الأدبية تهمس في أذني أن أشير إلى حظ القطر من فترات الظلام، وقد تدجت على إقامة حينًا من الدهر ملاحظين عزلة طبقت عليه منزويًا في ذياك الجنوب، وعن يمينه إمارات كئيبة بعثرت على ساحل يمتد نحو ٢٠٠ كيلو متر جنوبي الجزيرة العربية، ثم لبثت حضرموت سنين

حائرة لا تكاد تحس للحركة الأدبية الحديثة ركزًا، قاصرة الطرف على ميراث من أدب سلفي لا تنبض أوزانه بحياة أدب هزيل ورثته في عصور مظلمة واحتفظت به برغم تجوال الضاربين من مناكب الأرض من الحضارة بادئ ذي بدء يبتعون رزقًا تسعة أعشاره في تجارة شغفتهم من القديم حبًا إلا لما خصهم شاعرنا القديم بقوله:

وطوى القياد مع الطراد بطونها   طي التجار بحضرموت برودا!!

وإنه لحب الهمام تكاثره بحيث صدهم بدء هجرتهم أو كادوا يصدهم عن طلاب مثل رقيقة تهذيبًا وتثقيفًا، وأعتذر إذا ما ثار التاريخ محتجًا على ما أذهب إليه بطائفة فاضلة من رجال حضرموت قضاة وإداريين في موطن هجرتهم الأولى.

نفرت طوائف غير قليلة من الحضارمة تاركة بلادها تقصد الهند حينًا! تؤوم أفريقيا وشواطئها الجنوبية حينًا حيث تقبض اليوم على زمام من أزمة الحياة الاقتصادية هناك، وكذلك شأنها في كل قطر تهاجر إليه.

أما كثرة القوم الكاثرة فقد أبعدت في قصدها فاتخذت طريقها في البحر سربًا، ووجهتها جزائر إندونيسيا الممرعة، حيث تقدر جموعهم بها حوالي مائة ألف، وهجرتهم هذه إلى ذلكم الأرخبيل تعد أكبر الهجرات الحضرمية أو بعدها أثر لما تركته من آثار في حياة حضرموت ماديًا وذهنيًا واجتماعيًا، ولما أحدثته كذلك في نفوس سكان البلاد بانتزاعها عقيدة البوذية من نفوس سبعين مليونًا بعد أن شرح الله صدورهم للإسلام يغارون عليهم اليوم ويعتزون به متمسكين بعرى له لا انفصام لها.

وقد امتد ظل إقامة الحضارم في تلك الفردوس الأرضي مستطيبين الحياة بين الأهليين معززين محترمين ناظرين فيما حولهم يشهدون مما يكن لهم به عهد في وطنهم الأول من مظاهر الحياة الحديثة أيًا كان لونها، في حين بات المستنيرون منهم على صلات غير مجذوذة بنهضات البلاد العربية ونتاجها الفكري متابعين اتجاهاتها الأخرى، وتفاعل كهذا شأنه في أكبر الظن أن يؤثر أبلغ الأثر في نفوس الحضارم وفي تفكيرهم وفي اتجاهاتهم الأخرى، وهكذا كان، فخلقت في النفوس رغبات وانبعثت آمال بعد أن طويت وود كل حضرمي أن تظفر بلاده بنعمة من تقدم أو آثارة من علم وعرفان، وراح الآيب من ديار هجرته يحمل معه رغباته وأمانيه ليعلنها في ربوع وطنه، وهكذا ظهرت الحركة الأدبية والعلمية الحديثتان متأثرين كما أرى ببعض من عوامل خارجية أحبب إلي بها من عوامل.

وبعد فهل أطلت؟ أحسبني قد فعلت وأراني مرغمًا هنا أن أطوي ما بقي لدي من حديث يمس جوانب أخرى من جوانب جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الأكبر مؤملاً سنوح الفرصة لأصل ما كنت قطعت أو أنشر ما طويت.



السياسة العربية[1]

طلعت الصحف في اليوم السادس والعشرين من شهر أيلول تحمل عناوين الكفاح العربي في الجنوب العربي، فقد عطلت بريطانيا دستور عدن، وفرضت الحكم المباشر من قبل حاكمها في المنطقة، ومعنى ذلك أن بريطانيا قد أسفرت عن الوجه الحقيقي الاستعماري الذي تمارسه في هذا الجزء العزيز من الوطن العربي، ومعنى ذلك أن بريطانيا تعادي سكان هذه المنطقة بمجموعهم في الوقت الذي كانت تعلن قبل الآن أنها تعادي منظمة خاصة هي جبهة تحرير الجنوب، وهذا يعني أيضًا أن شعب الجنوب العربي كله اليوم يمثل جبهة التحرير، وإلا فما الذي يدعو بريطانيا إلى هذا الإجراء.

إن الاضطرابات تسود المنطقة كلها وتنذر بالحرب ضد قوات الاحتلال البريطاني، ويبدو في رأي المعقبين السياسيين أن بريطانيا لجأت إلى هذه الإجراءات حين توقف القتال في اليمن بين الجمهوريين والملكيين بعد الاتفاق الذي عقده الرئيس جمال عبدالناصر والملك فيصل، إذ إن إجراءات وقف القتال في نظر بريطانيا نقل المعركة إلى خارج حدود اليمن إلى عدن ضد الأعداء الحقيقيين للأمة العربية وللشعب العربي، وكانت بريطانيا قبل ذلك تمول العمليات الحربية ضد الجمهوريين.

إن استقالة السيد عبدالقوي المكاوي رئيس وزراء المنطقة، واستقالة

---

(١) مجلة الأقلام (بغداد)، الجزء الثاني، السنة الثانية، تشرين الأول ١٩٦٥م، ص٢٤٣.

الوزراء ورفضهم التنديد بالإرهاب كان يعني لدى بريطانيا إنذارًا بوجوب مغادرة المنطقة والارتحال إلى غير رجعة.

من الغريب حقًا أن تصدر بريطانيا بيانًا تعلن فيه أن كفاح شعب الجنوب العربي يثبط جهود بريطانيا للسير نحو استقلال جنوب شبه الجزيرة، ولذلك فإن حكومة صاحبة الجلالة أمرت بتعليق دستور عدن واعتبرت ذلك من إجراءات الأمن، وبذلك حل المجلس التشريعي، وصرف الوزراء، ومارس الحاكم البريطاني السلطة مباشرة، وكانت باكورة أعماله منع التجول والاعتقال الأسلوب الذي سبق للاستعمار أن مارسه في كثير من الأماكن قبل رحيله عنها.

إن شعب الجنوب مصمم على الكفاح ويطلب من الاستعمار أن يرحل.

إن لجنة تصفية الاستعمار في الأمم المتحدة أقرت استقلال الجنوب، وطالبت بتصفية القواعد فلم يبق لبريطانيا عذر، ولابد أن يقدم الشعب ضحاياه في هذا السبيل ولكنه واصل إلى مبتغاه لا محالة.



أضواء على السياسة العالمية

أبناء الجنوب العربي المحتل يفضحون مؤتمر لندن الاستعماري:[1]

وفي الرابع من تموز أي بعد أربعة أيام من انعقاد ما يسمى بمؤتمر الجنوب العربي من بريطانيا أعلن السلطان **أحمد بن عبدالله الفضلي، سلطان إمارة الفضلي** بأن سلطنته انفصلت عن الاتحاد، وقال: إن الاتحاد كان مؤامرة استعمارية تستهدف القضاء على العناصر الوطنية في شبه الجزيرة العربية، ثم وصل السلطان الفضلي إلى الجمهورية العربية المتحدة، فأدلى بتصريحات هامة بين فيها تآمر بريطانيا في الجنوب على الجمهورية اليمنية، وتآمرها على العالم العربي المتحرر.

أضواء على السياسة العالمية[2]

لعل أهم أحداث الشهر المنصرم هو إعلان الاتفاق الذي تم بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية حول مشكلة اليمن، فمن المعلوم أن موضوع اليمن دخل مرحلة جديدة منذ أن أعلن الرئيس جمال عبدالناصر في خطابه الأخير تصميمه على إنهاء حرب اليمن، حتى لو اضطر إلى نقل المعركة خارج حدودها الحالية، وكان معلومًا أن الملكيين اليمانيين يجدون العون من جهة المملكة العربية السعودية، وكانت تصريحات الرئيس جمال عبدالناصر بمثابة الإنذار لتلك الجهة، وقد شعر

(١) مجلة الأقلام،(بغداد)، الجزء الأول، السنة الأولى، أيلول ١٩٦٤م، ص١٩٤.
(٢) مجلة الأقلام (بغداد)، الجزء الأول، السنة الثانية، أيلول ١٩٦٥م، ص١٦٧.

العرب كل العرب أن خطر ما يحدق بالكيان العربي وإن الخطوات التي قد تتخذ لا تعني بحال من الأحوال - مهما حققت من نصر - نصرًا حقيقيًا لأمة العرب، وبدأت الأصوات تتعالى من المخلصين بوجوب إيجاد حل سلمي في المنطقة، ثم كان إعلان الرئيس جمال عبدالناصر في استعداده للالتقاء بالملك فيصل ووضع حد لهذه المشكلة التي لا يستفيد منها إلا أعداء العرب وأعداء الأمة العربية من صهيونية واستعمار ورجعية، ومن هنا تبدو أهمية اللقاء التاريخي بين المسؤولين العربيين، ومن هنا كذلك تظهر أهمية هذا اللقاء في نفوس العرب في كل مكان.

لقد كان الاتفاق الذي تم بين الجانبين محققًا لأهداف الأمة العربية من محيطها إلى خليجها وكان يبدأ بإيقاف القتال فورًا، والرجوع إلى الشعب اليمني ليختار نمط الحكم الذي يشاء في خطوات نص عليها في البيان المشترك الذي وضع موضع التنفيذ فورًا.

وبذلك تدخل مشكلة اليمن مرحلة جديدة نحو الحل الصحيح الذي طالما انتظره أبناء العروبة، وكان لابد من بادرة يبدؤها الرئيس العربي وتجد صدى لدى الملك فيصل فيكون الاجتماع التاريخي العتيد وتكون نقطة الانطلاق الجديدة في طريق الأمة العربية نحو الحياة الأفضل والعيش بسلام.



الاستعمار البريطاني واليمن[1]

إن النزاع القائم بين بريطانيا واليمن حول ما يسمى (مستعمرة عدن) (ومحميات اليمن) وقد زاد تعقيدًا وتوترًا في المدة الأخيرة نتيجة لخطة بريطانية استعمارية جديدة تهدف لإقامة اتحاد فيدرالي بين هذه المحميات، والغرض من هذا الاتحاد فعلاً هو عزل المحميات عزلاً تامًا عن بقية أجزاء الوطن العربي وخاصة في وطنها الأم اليمن.

إن (مؤامرة الاتحاد) هذه ليست في الواقع إلا فصلاً آخر من قصة الاستعمار البريطاني في المنطقة.

بدأت قصة الاستعمار البريطاني للجنوب العربي منذ قرنين من الزمن تقريبًا باحتلال عسكري كامل وبدون أية مقدمات، ولإعطاء عدوانهم على الأرض العربية صيغة قانونية بدأ الإنكليز بعقد معاهدات متعددة مع رؤساء القبائل المختلفة التي كانت تسكن تلك المنطقة، هذه المعاهدات توصل إليها نتيجة مفاوضات جرت بين بريطانيا وبين رؤساء القبائل بطريقة استعمارية تقليدية... حضر هذه المفاوضات من الجانب البريطاني أدهى وأذكى الدبلوماسيين في وزارة الخارجية البريطانية، ومن الجانب العربي أجهل وأبسط رؤساء القبائل الذين لم يكونوا يعرفون حتى القراءة والكتابة والذين راقت لهم أنواع الهدايا الخيول والجمال والحلوى والملابس... الخ التي كان يوزعها عليهم الإنكليز بأسلوب الترهيب والترغيب المعروف،

---

(١) مجلة الجمهورية، رئيس التحرير سعدون حمادي، مجلة ثقافية عامة، العدد الأول، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٨م، تعريب حسين الحلاق، ص٧٠-٧٤.

تمكن الإنكليز من إقناع عدد من رؤساء القبائل بالتوقيع على (وقائع قانونية) لم يفهموا من محتواها شيئًا، ولا عجب أن ترى بريطانيا الآن تدعو هذه الوثائق الهزلية (معاهدات) قانونية توصلت إلى عقدها مع رؤساء القبائل المعنية عن طريق (المفاوضات السلمية)، وهم يرمون من وراء ذلك تبرير استيلائهم غير المشروع على عدة مناطق من جنوب اليمن ويجعلوا من هذه السرقة المفضوحة شيئًا قانونيًا.

أما الواقع فهو أن ما يسمى الآن (مستعمرة عدن والمحميات) لم يكن إلا جزء لا يتجزأ من الوطن الأم (اليمن).

ولو رجعنا إلى التاريخ لوجدنا أن حكم العائلة المالكة الحاضرة في اليمن بدأ فعلاً عام **٨٩٣**هـ عندما استولى (الإمام الهادي) على الحكم لأول مرة، ويرجع الإمام الهادي بنسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب.

ومنذ ذلك التاريخ أي منذ **٨٩٣**هـ اجتاح اليمن عدد من المستعمرين الأجانب هم البرتغاليون والهولنديون والفرنسيون والبريطانيون والسويديون، وحتى الدنماركيون كانوا ضمن المستعمرين.

وفي عام **١٥٢٨**م كانت عدن ترزح تحت تأثير الاحتلال العثماني، ولكن لم يمض وقت قصير على العرب حتى تمكن العرب من التغلب على الأتراك وطردهم من أرض اليمن حتى أن اليمن أصبحت تتمتع باستقلال تام كامل منذ عام **١٦٢٨**م(١)، وكانت أراضيها تمتد فتشمل جميع المناطق التي تسمى الآن (مستعمرة عدن ومحمياتها)، وكان الحكام والولاة يديرون شؤون جميع هذه المناطق باسم إمام اليمن الذي دام حكمه المطلق لهذه المناطق

(١) كذا في الأصل والصواب **١٦٣٨**م.

مدة مائتي سنة متوالية، ولكن ما إن جاء عام ١٧٢٨م حتى قام سلطان لحج بثورة ضد إمام اليمن، وكان من نتائجها أن هذا السلطان اقتطع لنفسه جزءًا من اليمن أسس فيه سلطنة خاصة ضمنت إليها فيما بعد سلطنة عدن، أما إمام عدن فلم يعترف بهذه الثورة ولاسيما ما نتج عنها واستمر يعتبر عدن جزءًا من مملكته بالرغم من أنه لم يستطع استعادة ما فقده بشكل فعلي، نظرًا لما كان يجابهه من مشاكل داخلية شلت قواه.

هذا الانقسام بين شطري اليمن عبد الطريق أمام التدخل السياسي، من ثم الاحتلال العسكري البريطاني للمنطقة الجنوبية من اليمن فيما بعد.

ففي عام ١٧٩٩م أرسلت بريطانيا قوة بحرية ترافقها فصيلة من المشاة لتقوم بمهمة الاحتلال والإشراف على إدارة **جزر البريم** الواقعة على سواحل لحج، وذلك للأهمية الإستراتيجية التي كانت تتمتع بها هذه الجزر بالنسبة لبريطانيا التي تحاول أن تمنع فرنسا من احتلال الهند، ولقد حاول سلطان لحج أن يقف في وجه هذا العدوان البريطاني غير أنه كان من المستحيل التغلب على جيوش الإمبراطورية البريطانية المدربة، هذا بالإضافة إلى أن إمام اليمن لم يكن في مركز يمكنه من مد يد المساعدة إلى سلطان لحج الذي كان قد تمرد على سلطة الإمام نفسه كما رأينا، ومع ذلك فإن سلطان لحج قاد حملات بطولية ضد الإنكليز واشتبك مع القوات البريطانية بقتال عنيف انتهى باندحاره واستسلامه النهائي.

وبدأت نوايا بريطانيا الاستعمارية تتضح شيئًا فشيئًا، ففي اليوم السادس من شهر سبتمبر عام ١٨٠٢م وكان قد مضى على احتلال لحج ثلاث سنوات استطاعت بريطانيا الحصول على وثيقة هي الآن تدعوها (معاهدة) تسمح لبريطانيا باعتبار ميناء عدن الحيوي مفتوح لجميع البضائع التي تحملها

السفن البريطانية.

هذه الوثيقة منحت بريطانيا أيضًا امتيازات كثيرة أخرى، مثلاً منها منح الحصانة للرعايا الإنكليز المقيمين في عدن ضد القوانين المرعية واعتبارهم مسؤولون فقط أمام قوانين التاج البريطاني.

وفي عام ١٨٣٧م أي بعد خمس وثلاثين سنة أجبر سلطان لحج على منح السلطات البريطانية امتياز آخر في منطقة عدن المجاور على شرط الإبقاء على حق السلطان في ممارسة سلطاته على شعبه في عدن، ولكن بريطانيا بعد فترة وجيزة اعترضت على استمرار ممارسة هذه السلطات خارقة بذلك نصوص الاتفاق مع السلطان، وبدأت فعلاً باحتلال منطقة عدن بالقوة العسكرية وتم لها ذلك في ١٩ كانون الثاني ١٨٣٩م، أما السلطان فقد هرب مع عائلته إلى لحج بعد أن جردته بريطانيا من سلطاته، واتفقت مع صهره ونصبته سلطانًا على المنطقة داعية إياه (السلطان الشرعي)، وكان أول عمل قام به السلطان الجديد هو توقيع (معاهدة صداقة وصلح) بين بريطانيا وبين سكان المنطقة، ولم يعترف السلطان المخلوع بشرعية السلطان الجديد ولا باحتلال عاصمة ملكه من قبل بريطانيا.

وقام بالفعل بعدة محاولات لاسترداد عاصمة ملكه وطرد جنود الاحتلال، ففي تموز ١٨٤٠م وفي أغسطس ١٨٤٦م قام هذا السلطان بشن عدة هجمات بطولية ولكنها باءت كلها بالفشل، وتوفي في ٣٠ نوفمبر ١٨٤٧م.

أساليب بريطانيا كانت تعتمد على سياسة (فرق تسد)، فلقد قامت بتجزيء المنطقة وتقسيمها إلى دويلات منفصلة مستقلة من القبائل الموجودة في المنطقة، ونصبت مشايخ القبائل رؤساء على هذه الدول دون صلاحيات

أو سلطات عملية، حيث كانت بريطانيا نفسها تضطلع بمهام الإدارة والحماية في هذه الدويلات.

قسم الجزء الغربي من الجنوب العربي إلى ثمانية عشر جزءًا، نسبة للقبائل التي كانت هناك وهي **العبدلي**، **الأقربي**، **الأميري**، **الحصيبي**، **الفضلي**، **العولقي**، **العلاوي**، **الصبيحي**.

وبدأت بريطانيا تخلع السلاطين والمشايخ وتنصب سلاطين ومشايخ حسب ما تقتضيه مصلحتها الخاصة، ولم يكن هناك فرق بين سلطان وسلطان أو شيخ وشيخ، فقد كان أكثرهم جاهلاً وأميًا، كانت بريطانيا تمنح السلطان سلطات قليلة جدًا وامتيازات شخصية كثيرة، ومن هذه الامتيازات مثلاً أنه كان يسمح للسلطان بزيارة عدن مرة واحدة كل سنة حيث الترف والرفاهية وجميع أنواع التسلية للسلطان الزائر، وكانت تقدم الهدايا والمنح والألقاب حسب رتبة ومنزلة الزائر عند المقيم العام البريطاني.

وكانت هناك جميع أنواع الخزعبلات والضحك على الذقون، مثلاً كان يستقبل السلطان خارج المدينة من قبل فرق الخيالة الإنكليز يرافقون السلطان حتى قلب المدينة، تسبقهم فرق الموسيقى، وكان ذلك يعتبر شرفًا عظيمًا للزائر، أما إذا علت منزلته أو ارتفعت رتبته فعند ذلك تنظم على شرفه سباقات الخيل التي يحضرها ممثل خاص عن المقيم العام البريطاني، وأما ضيوف الشرف (وهم عادة من المقربين جدًا) فكانت تطلق لهم المدافع عند وصولهم، يزداد عدد الطلقات طردًا طردًا مع ارتفاع منزلة الضيف ورتبته، هذه المظاهر والاستقبالات كانت تخلق نوعًا من التنافس بين رؤساء القبائل لاكتساب عطف ورضى المقيم العام البريطاني.

الاحتفالات ومظاهر الضيافة والاحترام هذه كانت عادة تنتهي باجتماع يعقد بين الطرفين (العربي والإنكليزي) للتفاوض في بعض القضايا الهامة، وكان الاجتماع دائمًا ينتهي بتوقيع (اتفاقية) بين الطرفين، هذه الاتفاقيات تدعوها بريطانيا في الوقت الحاضر (معاهدات) منها:

١- معاهدة عقدت مع **قبيلة العبدلي** في **٤** شباط **١٨٣٩**م تضمن سلامة طرق القوافل إلى عدن، وهناك أيضًا معاهدتان مماثلتان عقدت إحداهما مع قبيلة **الحصيبي ١٨٣٩**م، والثانية مع قبيلة **الضهلي** في مارس **١٨٨١**م.

٢- معاهدة عقدت مع قبيلة **العبدلي** في ٧ آذار **١٨٤٩**م، ومع قبيلة **الفضلي** في **٦** مارس **١٨٧٢**م، وبموجب هذه المعاهدة ألغيت جميع الرسوم التي كانت تفرض على البضائع الإنكليزية المارة في أراضي القبيلتين المذكورتين.

ويمضي أربعون عامًا دخلت السياسة البريطانية في مرحلة عقد معاهدات **(العلاقات الودية)**، **(وضمان سلامة طرق القوافل)**، **(وإلغاء رسوم الترانزيت)** إلى مرحلة عقد (معاهدات الحماية) وتعهد المشايخ والسلاطين بموجب معاهدات الحماية ألا يتعاملوا مع أية دولة أو يقيموا أية علاقات مع أي جهة بدون علم وموافقة الحكومة البريطانية، وتنطبق هذه الشروط أيضًا على علاقات هذه المحميات مع الوطن الأم اليمن وبقية البلدان العربية، عقدت بريطانيا معاهدة أخذت تداعب مخيلتها فكرة القيام بدور الوسيط بين القبائل العربية المتخاصمة واستغلالها هذه الخصومات لصالح التاج البريطاني.

وبالفعل فإنها بدأت تعرض وساطتها وخدماتها على تلك القبائل

ونجحت مهمتها في عدة مناسبات، فمثلاً تمكنت من إقناع قبيلتي **الفضلي والعبدلي** بوجوب عقد اتفاقية بينهما بشأن مشاكل الحدود المتنازع عليها، وفعلاً وقعت هذه المعاهدة بين القبيلتين في **٣** مارس **١٨٨١**م.

ولكن بريطانيا كانت لها طريقتها الخاصة في عرض وساطتها، فقد كانت تعليمات الحكومة البريطانية في بومباي (الهند) تقضي بعدم التدخل في الصراع القائم بين القبائل إلا بعد أن يدوم الصراع والقتال بينهم وقتًا طويلاً يجعلهم في حالة نفسية يكونون فيها على أتم الاستعداد لقبول أية وساطة من أية جهة بعد أن أنهكهم القتال، كما أن التعليمات تقضي بعدم التدخل إلا بحالات خاصة وظروف معينة، فمثلاً إذا أظهرت إحدى القبائل أي نوع من المعارضة أو المقاومة للإدارة الإنكليزية فإن التعليمات تقضي بوجوب استعمال ما كان يسمى بسياسة (العصا الكبيرة) لتأديب القبيلة العاقة، والأساليب البريطانية في القضاء على حركات المعارضة لحكمهم كانت متعددة ومتنوعة، منها فرض الإقامة الجبرية في عدن على أبناء المشايخ والسلاطين واعتبارهم كرهائن دائمين، والتهديد بقتلهم فيما إذا فكر آباؤهم بعدم إطاعة أوامر المقيم العام البريطاني، ومنها أيضًا نفي السلاطين والمشايخ أنفسهم إلى بومباي، إذ بدرت منهم بوادر المعارضة للحكم الإنكليزي، وليس هذا فقط بل إن قرى كاملة دمرت عن آخرها عندما أظهرت بعض الاستياء من الحكم البريطاني، حتى أن بريطانيا استعملت الغارات الجوية بعد **١٩١٩**م على بعض القرى المتمردة بقصد تأديبها.

ودامت هذه الحالة حتى قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية بقليل، حينما شعرت بريطانيا بأن سيطرتها قد ضعفت في المنطقة نتيجة الحرب، فما كان

منها أن بدأت بمحاولة إعادة تنظيم إدارتها لهذه المناطق عن طريق عقد (معاهدات حماية) جديدة أو تعديل المعاهدات القديمة بشكل يضمن لها إعادة سيطرتها ونفوذها في المنطقة.

ولكنها فوجئت بحركة مقاومة ومعارضة بدأت تظهر في المنطقة، وعلى مستوى شعبي هذه المرة، وهنا بدأت بريطانيا بسياسة الاضطهاد والسجن والنفي للقضاء على هذه الحركة.

واليوم وبعد أن تأكد فشل سياسة الاضطهاد في إضعاف الحركة القومية في الجنوب العربي نرى أن بريطانيا بدأت تحاول تأسيس نظام جديد للمحميات يهدف إلى إقامة اتحاد فيدرالي بينها.

إن ما تأمله بريطانيا من وراء ذلك هو تقوية وزيادة سلطان الحاكم البريطاني المقيم في عدن، وهذا يتطلب مركزية في الحكم تكون السلطات فيها بيد الحاكم البريطاني، وهذا يأتي عن طريق انتزاع ما تبقى من سلطات قليلة في أيدي السلاطين والمشايخ المحليين.

إن فكرة إقامة اتحاد بين المحميات هي في الواقع فكرة قديمة ولها تاريخ، وهي تختلف عن الاتحادات الأخرى في أن لها مميزات خاصة فيها، ففي ١٧ آذار **١٩٣١**م اقترحت بريطانيا إقامة اتحاد يضم جميع المناطق التابعة لعدن؛ وكانت تهدف من ذلك إلى خلق كتلة قوية تستطيع حماية الحدود المصطنعة التي فرضتها بالقوة والإبقاء عليها، وقد جاء في ذلك الاقتراح (أن هدف حكومة عدن العاصمة الفعلية للمحميات).

هذه الفكرة القديمة أخذت بالانتعاش من جديد، وبدأت بريطانيا تعمل

على تنفيذها فقامت بالدعوة لعقد مؤتمر في ٧ كانون الثاني ١٩٥٤م، يضم مشايخ وأمراء وسلاطين المحميات في هذا الأمر.

وقد أجابت المملكة اليمنية على المؤتمر باحتجاج رسمي تقدمت به إلى هيئة الأمم المتحدة تتحدى فيه حق بريطانيا في وضع هذه المنطقة تحت إدارتها، في حين أن المنطقة جزء لا يتجزأ من المملكة اليمنية، ولقد بين ممثل اليمن في الأمم المتحدة أن الهدف من إقامة الاتحاد في الواقع لا يتعدى كونه محاولة بريطانية في السيطرة المطلقة على كل منطقة جنوبي اليمن، وبالتالي فصلها نهائيًا عن وطنها الأم هذا بالإضافة إلى أن بريطانيا تريد استغلال الموارد الطبيعية الغنية في هذه المنطقة، وتحويلها إلى قاعدة عسكرية تهدد سلامة الوطن العربي الأمر الذي يتعارض ورغبات سكان المنطقة ويتناقض مع ميثاق الأمم المتحدة.

في هذه الأثناء كان مجلس جامعة الدول العربية قد اتخذ عدة قرارات تأييد اليمن (في موقفها من قضية المحميات)، كما أن الدول الأفريقية - الآسيوية المشتركة في مؤتمر باندونغ - وعددها تسع وعشرون دولة - اتخذت قرارًا مماثلاً فيما يخص القضية في اجتماعها المنعقد في ٢٤ نيسان ١٩٥٥م تؤيد فيه موقف اليمن وتحث الطرفين المعنيين (اليمن وبريطانيا) على الوصول إلى تسوية سلمية للنزاع القائم حول المحميات.

إن بريطانيا في الوقت الذي تعارض فيه كل محاولة للوحدة بين دول الجامعة العربية تتزعم فكرة اتحاد المحميات بكل صفاقة وبرود وقح.

السؤال هنا: لماذا كل هذا الحماس البريطاني للاتحاد الفيدرالي بين المحميات بينما هي تعارض في كل مناسبة اتحاد المحميات نفسها مع اليمن، بل إنها تعارض أي اتحاد من أي نوع بين الدول العربية الأخرى، إن الحقائق في هذه القضية نفسها تعطي الجواب على هذا السؤال أن أرض الجنوب العربي احتلت بالقوة من قبل بريطانيا في القرن الثامن عشر.

هذا الاعتداء لا يمنح بريطانيا أية حقوق، بل على العكس إنه يفرض واجبًا على الشعب المحتل في أن يقاوم ويعارض ويثور ضد القوى المحتلة؛ لكي يضع حدًا ونهاية للسيطرة الأجنبية، ولكي يصبح الشعب العربي هناك سيد أرضه.

إن السيادة على هذه المنطقة حق لليمن وحدها، وأن اليمن لم تعترف قط بشرعية أي من المعاهدات التي عقدت بين بريطانيا، وأن معاهدات الحماية التي عقدت ليس لها أية قيمة قانونية مطلقًا؛ لأن هذه المعاهدات لم تنعقد بين طرفين متعادلين أو بين دولتين مستقلتين، وإنما عقدت بين بريطانيا وبين عدة أفراد لم يكن لديهم الصلاحية أو السلطة لعقد مثل هذه المعاهدات التي تكبل شعبًا بكامله وتقرر مصير أمة بكاملها، هؤلاء الأفراد نفسهم كانوا ضحية الفساد والخداع والمؤامرات البريطانية.

ومن ناحية أخرى فإن بريطانيا مرتبطة بمعاهدة عقدتها مع المملكة اليمنية عام **١٩٣٤**م هذه هي **(معاهدة صنعاء)** وتعترف بريطانيا بموجبها بالإمام ملكًا على اليمن، كما أن الإمام بموجب المعاهدة يوافق على الإبقاء على الوضع القائم في الجنوب العربي حتى عام **١٩٧٤**م موعد انتهاء الاتفاقية لكن الإمام

لم يعترف مطلقًا بقانونية أو شرعية احتلال بريطانيا للمحميات.

وهكذا كانت معاهدة صنعاء تجمد الوضع والحدود الحالية بشكل وقتي بأمل الوصول إلى حل سلمي عادل قبل انتهاء مدة المعاهدة في عام ١٩٧٤م، وكذلك فإن المعاهدة لم تعد بريطانيا بأية حقوق أو امتيازات، ولذلك فليس بإمكان بريطانيا الادعاء بأية مكاسب في هذه الاتفاقية.

وما دام ليس لبريطانيا حقوق شرعية قانونية تسمح لها باحتلال القسم الجنوبي من اليمن، فإنها الآن تدعو المحميات التي خلقتها هي نفسها للاتحاد والتكتل ضد (الأجنبي الذي هو الوطن الأم - اليمن).

إن الوحدة العربية الشاملة لا الاتحادات الاستعمارية هو ما يناضل العرب من أجله اليوم، وأن الشعب الذي يؤمن جزء أنه من أمة عربية واحدة لا يمكن أن يقبل باتحاد فيدرالي هزيل يرأسه حاكم بريطاني في عدن.

من الواضح إذن أن مستقبل الوحدة العربية ومصير الشعب العربي ليس في يد بريطانيا، وأما إذا كان هناك قلة من العرب يعملون لمصلحة بريطانيا نتيجة جهل أو مرض في النفس، فهذا لا يعني أن مصلحة بريطانيا هي مع هذه القلة، بل هي في الواقع مع الأمة العربية جمعاء، وهي الآن في فجر نهضتها إنما تكافح الاستعمار والرجعية، وتعمل على تحقيق تعاون دولي يقوم على أساس من التفاهم والمساواة بين دول العالم أجمع.



في رياض الفكر العربي[1]

عدن:

ازداد نضال إخواننا في عدن شدة وضراوة ضد الاستعمار البريطاني الغاشم.

القرارات والتوصيات السياسية[2]

مقررات وتوصيات المؤتمر الثقافي للكتاب الآسيويين - الإفريقيين الذي عقد في القاهرة بين **١٢-١٦** شباط **١٩٦٢**م.

الجنوب العربي:

- يحيي المؤتمر شعب الجنوب ويؤيده ضد الإمبريالية البريطانية في سبيل حصوله على الاستقلال والسيادة وتحقيق وحدة بلاده.

- يندد بالقواعد العسكرية التي أقامها البريطانيون في عدن، ويطالب بالانسحاب منها فورًا.

- يدعو الشعوب الإفريقية الآسيوية وكتابها لتأييد شعوب الجنوب العربي في نضاله العادل ضد التعسف والطغيان.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) مجلة المثقف (بغداد)، مجلة فكرية عامة، العدد الثاني، السنة الأولى، تشرين الثاني ١٩٥٨م، ص١٢٧.

(٢) مجلة المثقف (بغداد)، مجلة فكرية عامة، العدد الثامن والعشرون، السنة الخامسة تموز ١٩٦٢م، ص٩٥.

الفصل الخامس

مشاهدات في اليمن عام ١٩٥٠م

كنت في اليمن والمحميات[1]

- ١ -

تجمعت عدة أسباب تدفعني إلى التعرف على الأقطار العربية عامة والأقطار الشقيقة البعيدة منها خاصة، ومن هذه الأسباب قضية فلسطين وأحوال العرب اليوم إذ لا يمكن لشخص أن يتفهم ويحب وطنًا إلا بعد أن يتعرف عليه، فيجوب خلال وديانه وجباله وسهوله وصحاريه ويتعرف على أهله ومناحي حياتهم وطرق معيشتهم.

اليمن والمحميات هي أبعد البلاد العربية، وإن الذي يريد أن يكون فكرة عنها يصعب عليه ذلك؛ بالنظر لعزلتها وقلة الباحثين والكاتبين عنها، وقد أتاحت لي الظروف القاهرة فرصة التعرف عن هذه البلاد البعيدة، وهذه الظروف المقصود هي ظروف فلسطين فقد انتهت الحرب العالمية الثانية بوجه عام، وانتهت حرب فلسطين بوجه خاص، وعمت البطالة فاضطر الشباب إلى السعي وراء العمل في أي قطر عربي كان، وقد كان هذا السبب الاضطراري مجالاً لرحلات الشباب العربي الذي كان يتوق وبحق إلى زيارة الأقطار العربية البعيدة المحرومة من العمران والثقافة.

وهكذا وللأسباب المذكورة آنفًا شددنا الرحال وقلوبنا مفعمة بالإيمان والرغبة في استطلاع المجهول والخدمة الصادقة لبني قومنا.

---

(١) محمد إبراهيم الهنيدي، مجلة صوت العراق (مجلة أسبوعية سياسية أدبية اقتصادية اجتماعية) العدد ٨، السنة الأولى، ٧ تشرين الأول ١٩٥٠م، ص١١، ١٢.

تحرك ركابنا في أواخر شهر أيلول للعام الماضي على طائرة خاصة، أنا وعشرون آخرون قاصدين اليمن، وقد وصلنا في اليوم ذاته بعد طيران ثلاث عشر ساعة متواصلة، وهبطنا في مدينة عدن الواقعة في الجنوب الغربي من الجزيرة العربية، وهذه المدينة محمية بريطانية تسلمتها بريطانية في عام **١٨٣٢**م كهدية من سلطان العثمانيين (في ذلك الوقت) للملكة (فكتوريا)، ولهذه المدينة أهمية تجارية وإستراتيجية كبيرة فكما أن قناة السويس هي المفتاح الشمالي للبحر الأحمر فإن عدن هي المفتاح الجنوبي.

تقع هذه المدينة بين عدة جبال قاحلة، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول منها عدن **الصغرى، ثم (التواهي)**، ثم القسم الثالث المسمى (**بالشيخ عثمان)**.

وتجمع مدينة عدن عامة سحر الشرق ونظام الغرب، وهي أرخص مدينة زرتها في حياتي؛ لأنها ميناء حر ولا ضرائب على ما يرد إليها وما يصدر عنها، فعلبة السيكاير الإنكليزية تباع بتسع عانات (أي ما يساوي أربعين فلسًا)، والحذاء الإنكليزي الممتاز يباع بـ (**٢٢** روبية) أي (ما يعادل دينارًا أو سبعمائة فلس)، مع العلم أن ثمن هذا الحذاء في بيروت خمسين ليرة لبنانية (أي أكثر من خمسة دنانير).

كان مكوثنا في عدن لمدة عشرة أيام درسنا خلالها أحوال المجتمع، فألفينا مجتمعًا يجمع بين العرب وهم أكثر السكان، وبين الصوماليين، والحبشيين، والهنود، وبعض عبدة النار، كما يسكن هذه المدينة عدد كبير من البريطانيين الذين يحكمون البلاد ويديرون إدارتها.

ولعدن ميناء جميل جدًا يحيط بها من جهات ثلاث فلا تنقطع البواخر منه، إذ يمكن لزائر عدن أن يرى في بعض الأوقات المائة سفينة من الكبيرات اللواتي يمخرن عباب المحيطات.

قضيت عيد الأضحى السابق في عدن، ولاحظت أن السكان لا يختلفون في احتفالاتهم بالأعياد عن بقية الأقطار العربية، ولكن سكانها كما ظهر لي يحبون الألوان الزاهية المزركشة في ألبستهم ويتباهون بها، ولكنهم أهل كرم وضيافة، وهم حسنو المعشر، ومعظمهم من أصل يماني متمسك بعاداته وتقاليده العربية الصحيحة من ضيافة وكرم وشدة وشمم.

وتحوي عدن عدة مساجد، وكنيستين، ومعظم الأبنية فيها مبنية بالحجر وعلى الطراز الحديث، وفي عدن شبان يفهمون القضايا العربية فهمًا جيدًا وبعضهم تخرج من الجامعات، ووجود الأجانب قد غير مما لاشك فيه كثيرًا من طراز البناء والحياة في عدن، وأصبحت وهي في جنوب الجزيرة بعيدة عن العالم المتمدن أحسن حالاً من بعض جاراتها القريبة، هذا ومعظم سكان عدن يعتمدون في حياتهم على التجارة.

تركنا عدن في سيارة جيب جديدة قوية متجهة نحو عاصمة اليمن الثانية **(تعز)**، وبتوديعنا عدن ودعنا الطرق المعبدة وسرنا في طرق لم تعرف التعبيد ولا الترتيب، ويكاد السائر فيها أن يضيع أو أن ينقطع، وبعد عدن دخلنا في حدود محمية **(لحج)** وهي محمية بريطانية أيضًا، يحكمها سلطان وبها إدارة شكلية لا بأس بها بالنسبة للوضع القبلي البدائي هناك، وعندما مررنا بمدينة لحج وهي عاصمة المحمية دعينا لتناول الغداء على مائدة أحد الأمراء اسمه

(**عبدالله الجفري**)، والحقيقة كانت الساعتان اللتان قضيناها معه جلسة عربية صميمة، عرفتنا بتتبع إخواننا العرب الجنوبيين لقضايانا القومية، وخصوصًا قضية فلسطين، ولسنا ننسى حفاوة الشيخ الجفري بنا ولطفه وإيناسه الذي شملنا به، فتعرفنا على روح عربية شفافة طروبة في بطون الصحراء، وقد أفادنا الشيخ الجفري عن أحوال محمية لحج، وشاهدنا ونحن في الطريق بعض المشاريع الزراعية التي أدخلت على المحمية، وخصوصًا مشاريع الري التي شملت آلافًا من الفدانات ضمن أرض المملوحة.

وتابعنا سيرنا فدخلنا محمية (**الحوشبي**) مررنا فيها مرورًا، ولم نتعرف على أحد منها، وهي تشبه قرى الجبال البعيدة التي تفتقر إلى الزراعة والعمران، وبعدها دخلنا قسمًا آخر من محمية لحج ثم دخلنا حدود اليمن، وبينما نحن في الطريق كنا نرى يهود اليمن خارجين من اليمن بشكلهم البدائي متجهين نحو فلسطين، وكلهم تحمس وإخلاص للكيان الصهيوني.

وكان أعضاء القافلة يصرخون بنا وهم في طريقهم يهتفون بحياة الكيان الصهيوني، وبصدد هجرة اليهود اليمانيين إلى الكيان الصهيوني أقول: إن وكلاء اليهود في عدن لهم وكالة كبيرة فيها، وإن هذه الوكالة تقوم بتسفير اليهود، وبعد أن تنظفهم وتلبسهم وتهيئهم للسفر، إذ قد أعدت الطائرات الفخمة والقوافل المريحة لنقلهم إلى أرض الميعاد بسلام.

ولا يمكن أن نتصور غير الفلسطينيين الحالة النفسية التي تراود الفلسطينيين عندما يرى هذه القوافل الغريبة تدخل بلاده على الرحب والسعة، وهو مشرد عنها ودخوله ممنوع إليها، وفيها موطنه، وقبور أجداده،

وملاعب أنسه وصباه.

لنترك هذا الحديث المؤلم، ونستأنف الرحلة في العدد القادم ببحث طلي مفيد عن اليمن ونهضتها الحديثة.



كنت في اليمن والمحميات[1]

- ٢ -

دخلنا اليمن وقد سرنا زهاء ساعتين في حدودها، عندما وصلنا أول مركز في تمام الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر، واسم هذا المركز **السراهدة** وهو أول مركز للكمارك في غربي اليمن، إذ يجب على كل من يدخل اليمن ويخرج منها أن يمر بهذا المركز.

لقد تبين لنا أنه لا يمكننا أن نتابع السير إلى تعز؛ لأنه يجب أن نحصل على أمر شريف من جلالة الإمام بهذا الصدد (حيث أن أمر جلالة الإمام الشخصي وإذنه الخاص هو الأمر اللازم لكل قضية، وبما أن القمر كان يظهر في آخر الليل، وكانت تهطل أمطار غزيرة، والطريق وعر جبلي، فضلنا أن نقضي الليل في السراهدة؛ لنتابع السير في صباح اليوم التالي، وقد نزلنا في ضيافة صاحب الجلالة الإمام، وقد كان استقبالنا من قبل موظفي الحكومة استقبالاً رائعًا.

وفي صباح اليوم التالي تابعنا السير بعد أن قضينا ليلة ذكرتنا بحياة الكشافة، أو حياة روبنسن كروسو الذي كان يعمل لنفسه كل شيء، تابعنا السير لمدة ساعتين ونصف، وعن بعد شاهدنا قصرًا ضخمًا يطل على مدينة تعز من الشرق الجنوبي، ثم اقتربنا منه وإذا هو قصر (صالة) العامر الذي يسكنه إمام اليمن.

---

(١) الأستاذ محمد إبراهيم الهنيدي، مجلة صوت العراق، مجلة أسبوعية سياسية أدبية اقتصادية اجتماعية، العدد ٩، السنة الأولى، ١٤ تشرين الأول ١٩٥٠م، ص١١، ١٣.

وبعدها بخمس عشر دقيقة وصلنا عاصمة اليمن الثانية (تعز)، ونزلنا في ضيافة مولانا صاحب الجلالة الإمام أحمد الناصر لدين الله، وبعد ذلك اليوم رافقنا وزير الدولة السيد حسن بن إبراهيم إلى القصر الملكي، وسجلنا أسماءنا في سجل التشريفات، وبعدها رجعنا إلى قصر الضيافة، وتناولنا طعام العشاء، واستغرقنا في نوم عميق بعد ذلك السفر الطويل.

وبعد أسبوع من وصولنا إلى تعز توزع الموظفون كل إلى مركزه واستلم زمام عمله وباشرنا مهمتنا في خدمة اليمن حكومة وشعبًا، وما أن مضى علينا بضعة أشهر حتى تعرفنا على إخواننا اليمانيين الكبير منهم والصغير، وفهمناهم أحسن الفهم، وتعاونا معهم على جمع ما فيه الخير والصلاح لبلادهم خاصة وللعروبة عامة، وقد تنوعت أعمالي في اليمن ما بين التدريس، والتفتيش، والترجمة في وزارة الخارجية، وتحرير **جريدة النصر** لمدة شهر، كل هذه الأعمال أدخلتني في صميم الحياة اليمانية.

أحوال اليمن عامة:

اليمن قطر عربي مستقل حر لا معاهدة تربطه ولا اتفاق له مع أي دولة أجنبية، وهو عضو في الجامعة العربية، كما هو عضو في هيئة الأمم المتحدة.

وهو على الإجمال بلد جبلي يحوي على جميع أنواع المناطق الجغرافية الطبيعية وعلى جميع أنواع المناخ.

أرضه بركانية خصبة جدًا، ومناخه يختلف بالنسبة إلى السهل والجبل وباختلاف الفصول والأماكن، ويمكن زراعة جميع أنواع المحاصيل الزراعية لجميع المواسم في موسم واحد.

مياهه بالنسبة إلى مساحته قليلة، ولكنها في بعض الأماكن دافقة غزيرة يستغل بعضها في الإرواء.

تجارة اليمن:

تعتمد اليمن في تجارتها على المحاصيل الزراعية والإنتاج الزراعي المحلي، وقد نجح في اليمن القطن والرز حيث انتشرت هذه الزراعة هناك، وإن معظم صادرات اليمن هي المحاصيل الزراعية كالبن وهو أشهر حاصلاتها، ثم الحبوب (الحنطة والشعير والذرة)، والسمن، والعسل، والجلود، وبعض الفواكه.

واردات اليمن:

أما الواردات فهي كل شيء مصنوع من المعدن ولباس، ومعظم الأشياء يؤتى بها عن طريق عدن وهي رخيصة إلى حد ما، وليس في اليمن مصرف غير المصرف الذي يسمى (البنك الهندي الصيني)، وهو بنك فرنسي أعماله محدودة جدًا؛ لعدم تشجيع السكان على التعامل مع الأجانب، والشركات التجارية الموجودة في اليمن شركات بسيطة محلية، وقد ازداد نشاطها في السنة الأخيرة ويرجى لها مستقبل زاهر.

المواصلات في اليمن:

ليس هناك طرق معبدة في اليمن ولكنها تصلح للسيارات إلى حد ما، ومدينة تعز متصلة بالحديدة وصنعاء، وهناك طائرات تمتلكها الحكومة اليمانية وتستعملها في داخل البلاد وخارجها، وفي اليمن أربعة مطارات تصلح لهبوط الطائرات هي مطارات (**تعز وعمران والحديدة وصنعاء**)، وقد

زاد نشاط الطائرات اليمانية في المدة الأخيرة زيادة محسوسة حيث إن لليمن طائرات تجارية.

الحالة الاجتماعية في اليمن:

سكان اليمن عرب مسلمون من المذهب الزيدي والمذهب الشافعي وجميعهم ينتمون إلى قبائل عربية صميمية عرفت بالتاريخ، وجميعهم محافظون على تقاليدهم وعاداتهم الإسلامية العربية، وأن روح الدين قوية ومسيطرة.

وألبسة السكان مختلفة ومعظمها يتكون من (السماطة) وهي لفة أو عمة للرأس، (والزنة) وهي فستان يشبه قميص النوم، أو (الدشداشة في العراق)، والجاكيتات تلبس فوق (الزنة)، ومعظمهم يحمل (الجنابي) وهي الخناجر (الجنابي جمع جنبية)، والمرأة اليمانية عامل مهم في الحياة اليمانية فهي تعمل جنبًا إلى جنب مع الرجل، ولكنها في المدن محجبة محافظة لا يخرج نطاق عملها عن البيت.

التعليم في اليمن:

في اليمن مدارس عديدة ومختلفة كان للإمام السابق اليد الطولى في تأسيسها، كما أن الإمام الحالي سار على سنة والده وأسس عددًا كبيرًا من المدارس ومعظمها مدارس ابتدائية، تعلم القرآن، واللغة العربية، والحساب، والمدارس العالية منها والمسماة بالثانوية يعادل مستواها المدارس الابتدائية في البلاد العربية الأخرى، والطالب اليماني ذكي للغاية مستعد لتلقي العلوم لو سمحت له الفرص ولكنها قليلة، ويلبس الطلبة اللباس البلدي في المدارس الرسمية، وتساهم الحكومة اليمانية بمعظم

نفقات الطلاب من مأكل وملبس وتعليم، وهذا شيء قلما يوجد في باقي الأقطار العربية.

جهاز الحكومة:

إن الجهاز الحكومي اليماني يشبه بشكله جهاز الحكم في أي قطر عربي، ولكنه أقرب للجهاز العثماني القديم إلى العربي الحالي.

وتقوم الحكومة اليمانية الآن بتنظيم جميع الدوائر الحكومية تنظيمًا حديثًا، وطبعًا تسير هذه المهمة حسب التساهيل.

والسلطة التامة في الحكومة اليمانية هي لجلالة الإمام الذي يستشير مجلس الشورى الخاص في الأمور المهمة، فأما أمور القضاة والمحاكم فهي موزعة في البلاد ومودعة إلى القضاة والحكام المختصين على أن يحيط الإمام علمًا بكل شيء وعلى أن تؤخذ الأوامر منه.

واليمن اليوم بقيادة مليكها وإمامها تخطو خطوات واسعة نحو التقدم، وشعارهم اليوم (التقدم نحو الأمام) وقد كان للانقلاب الأخير الأثر في تأخير هذه النهضة، ولكنها ابتدأت تسير سيرًا محسوسًا عسى الله أن يوفق ويسدد خطى الإمام وحكومته للسير إلى ما فيه الرقي التقدم.

رحلات أخرى إلى المحميات:

عند رجوعنا من اليمن إلى عدن قمت بعدة زيارات لبعض المحميات الواقعة على شواطئ البحر العربي، وهذه المحميات تتفاوت في درجة الرقي والتحديث، وتعتمد في إدارتها على مستشارين بريطانيين، وبوجه خاص أذكر محمية أبين التي تخوض غمار النهضة الزراعية، إذ يوجد هنالك

مشروع لجمع المياه التي تكفي لري مائة ألف فدان، ومن حيث الحياة الاجتماعية لا تختلف هذه المحميات عن اليمن وزميلاتها.

رحلة إلى أفريقيا:

وفي طريق عودتنا إلى بيروت مررنا بمدينة (عصب)، وهي مدينة ساحلية منظمة كانت تحت السيطرة الإيطالية في الحرب الماضية، وهي الآن تحت السيطرة البريطانية، وقد مررنا بمدينة (أسمرة) وهي عاصمة (أرتيريا) وهي مدينة أوربية، لا تفتقر لشيء سوى الانتعاش الاقتصادي الذي مات بعد الحرب.

وبعدها مررنا بمدينة (جدة) في المملكة العربية السعودية، وهي الآن غيرها بالأمس، فيها المباني العصرية الحديثة، والنظام الحديث، وفيها مطار عظيم جدًا تملؤه الطائرات السعودية العديدة وطائرات بعض الشركات الأجنبية التي تمر بها، ولاشك في أن لهذه المدينة وهذا الميناء مستقبلاً زاهرًا، ومن ثم ركبت الطائرة من جدة إلى القاهرة إلى بيروت.

هذه هي رحلتي إلى الجزيرة العربية أبعثها إلى مجلة صوت العراق الغراء، التي تهتم بالبحوث المهمة راجيًا قبولها من القراء، وعساي نورت بما كتبت.



المحتويات

❀ ❀ ❀ ❀ ❀